



تأليف

محمد عطية الأبراشي

خريج جامعتي إكستر ولندن

والمراقب العام المساعد بوزارة المعارف

١٩٤٧

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

طبع بدار الكتاب العربي بمصر

شارع فاروق — تليفون : ٥٠٩٣٨



لغة العرب وكيف ننهض بها

وهي مجموعة المحاضرات التي ألقيت بمعهد الدراسات العليا سنة ١٩٤٧م

تأليف

محمد عطية الأبراشي

خريج جامعتي إكستر ولندن

والمراقب العام المساعد بوزارة المعارف

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

طبع بدار الكتاب العربي بمصر

شارع فاروق — تليفون : ٥٠٩٣٨

الطبعة الأولى

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد ، فهذه مجموعة من المحاضرات التى ألقيتها بمعهد الدراسات العليا هذا العام (١٩٤٧) تشمل بحوثا عن اللغة العربية ومميزاتها ، وثروتها وكيف نهض بها ، والتوجيهات الحديثة فى تدريسها . وقد جعلتها قسمين : القسم الأول خاص بالتربية ، والثانى خاص باللغة .

وأعتقد أن من واجب مصر والبلاد العربية الشقيقة العناية باللغة العربية ؛ لأنها اللغة القومية ، وفى إحيائها إحياء للعروبة ، وفى النهوض بها نهوض بالوطن .

وسبيل ذلك — فيما أرى — الإكثار من دروس اللغة العربية ، والعناية بها وبرجالها القائمين بتدريسها ، والتزامها فى كل مادة من المواد الدراسية ؛ إذ بغيرها لايكون درس ولا فهم ولا تعليم .

ومن الحقائق المرة أن اللغة العربية لاتزال حتى اليوم مهملة

فى البيت والمجتمع ، على الرغم مما بذله ويبذله مدرسو اللغة العربية من جهود مشكورة فى سبيل ترقيتها .

وإنه ليسرنى أن أجيب رغبة الإخوان فى نشر هذه المجموعة من المحاضرات ، وتقديمها لأساتذة اللغة العربية والمثقفين من أبناء العروبة ، بعد أن نقحتها ، وزدت عليها كثيراً من الإرشادات وطرق التدريس : حتى تعم الفائدة ، ويستطيع أن ينتفع بها كل مرب ، وكل عالم باللغة .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى الدفاع عن اللغة العربية ورجالها ، وذكر الوسائل للنهوض بها .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة العروبة والتربية والتعليم ؛ إنه نعم المولى ، ونعم النصير ؟

محمد عطيه الابراشى

جزيرة الروضة { رجب ١٣٦٦ هـ
يونيه ١٩٤٧ م

القسم الأول التربوي

المحاضرة الأولى
كيف ننهض باللغة العربية ؟

اللغة من مقومات الأمة :

من المسلم به أن اللغة ظل لحياة الأمة ، ومرآة تبدو على سطحها حال تلك الأمة وماهى عليه من نباهة وسمو ، أو ركود وخمول . فاللغة هى الوسيلة الواحدة التى تسجل بها الأمة علومها ، وتدون آدابها ، وتكتب تاريخها ، وتستوعب نتاج عقول أبنائها ، فى مختلف نواحى النشاط البشرى . فهى — لذلك — ألزم لوازم الأمة الحية المستقلة التى تشعر بوجود ، وتحس كرامة ، فإن كانت الأمة جسما فاللغة الروح ، أو شمسا فاللغة الشعاع .

زد على ذلك أن اللغة أهم الروابط التى تربط الجيل الحاضر بالأجيال السابقة ، وتنقل إليه فى وضوح وصدق الجهود التى بذلوها فى دعم الحضارة الإنسانية ، وما كشفوه من مخبآت هذا الكون ، وما أطلعهم الله عليه من أسراره ؛ فيتسنى للنابتة أن يبنوا على هذا الأساس ، ويسيروا فى تلك السبيل . ومن أجل ذلك عنيت الدول

الحية بلغاتها الوطنية قراءة وكتابة وأدباً ، وجعلتها فى مقدمة المواد الدراسية ؛ إذ هى الأساس الذى ينهض عليه تدريس جميع المواد. فإذا كان الطالب ضعيفاً فى لغته صعب عليه أن يتابع أستاذه فى فهم دروسه ، كما يتعصى عليه فهم ما يقرأ ساعة المطالعة والاستذكار؛ فيؤدى ضعفه فى اللغة إلى ضعفه فى بقية المواد مهما يجتهد المدرسون .

وإن من أهم مظاهر عناية الأمم الحية بلغاتها العمل على نشرها بالوسائل المختلفة فى الإذاعة ، والبعوث التعليمية ، والكتب والمجلات ، والمعاهد التى تنشئها فى البلاد الأخرى ؛ إذ أن سيادة اللغة لون من سيادة أهلها ، وانتشارها إشعار برقى أصحابها .

وإن أنس لا أنس ماذكره الراحل (ولهلم غليوم) إمبراطور ألمانيا السابق ، وقد جمع رجال التعليم من نظار ومدرسين ، وكانت العناية كبيرة بدراسة اللغتين الإغريقية واللاتينية فى المدارس الألمانية قائلا : « إننا لا نريد أن نكون إغريقيين ، ولا نود أن نكون لاتينيين ، بل نريد أن نكون ألمانيين ، فنعنى باللغة الألمانية ، والأدب الألمانى » . وإنى اليوم أحذو حذو الإمبراطور غليوم ، فأنادى بالعناية باللغة العربيـة ، والأدب العربى ، ورجال اللغة العربية ؛ لأنها اللغة القومية ، ولغة الوطن ، فإحياؤها إحياء للوطن ، والنهوض بها نهوض بالوطن .

وقد يحدث أن تتفرق الأمة الواحدة ، وتصير دولا مختلفة ، وتسير كل دولة منها فى واديها ، ضاربة صفحاً عن أبناء عمومتها وشقيقاتها ، غير أن اللغة — مع كل هذا — تبقى رباطاً متيناً ، وحصناً حصيناً تلوذ به هذه الدول ، فيجمع بينها إذا كرثها خطب ، أو نزل بها رزء . ولا أدل على ذلك من حال انجلترا وأمريكا اليوم ، فساسة انجلترا يحاولون التوحيد بين الدولتين الآن مادامت اللغة تجمع بين الأمتين ، وتصل بين الشعبين : الإنجليزى والأمريكى .

اللغة العربية فى حاضرها وماضيها :

واللغة العربية لها كل ما تقدم من مميزات ، وتزيد أنها لغة الدين ، وبذلك ضمنت لنفسها البقاء والنماء ، مادامت الدنيا ، ومادام فى الأرض مسلم يقرأ القرآن الكريم . وقد ورثت — فى العصور الوسطى — حضارات الأمم القديمة كلها من يونان ورومان وفرس وساميين ومصريين ، وتمثلت كل ذلك ، وطبعته بطابعها ، وزادته ونمته ؛ فصار أصيلاً بعد أن كان دخيلاً ، وصميماً بعد أن كان ضعيفاً غريباً ، وقامت بأعباء الملك الواسع ، والسلطان العريض ، وما يقتضيه ذلك من آداب وعلوم وفنون ، فأضافت بذلك إلى

سلسلة الحضارة الإنسانية حلقة لامعة ممتازة ، كما زادت فى صرح المدنية العالمية طابقا شامخاً باذخاً .

غير أنه عدت عليها العوادى ، فوقفت نموها ، وصوحت زاهر مجدها فى العصر التركى ، ولا غرابة ؛ فتلك سبيل الكائن الحى ، وسنة الله فى خلقه : قوة ثم ضعف ثم بعث ، وهذا ما كان ؛ ففى مستهل القرن التاسع عشر قيض الله للشرق العربى يقظة على يد المصلح الكبير محمد على باشا ؛ إذ نقل جل ما فى أوروبة من علوم وفنون إلى مصر ، وصاح باللغة العربية فأجابته ، وناداها فلبته ، ناهضة من قبرها ، ممزقة أكفانها ، نافضة عن نفسها غبار القرون الطويلة ، والآماد المتلاحقة ، لتثبت أنها لغة العلم والحضارة ، والمخترعات والمبتكرات ، ولغة القرآن ، وأنها هى فى كل أوان ، غنية ثرية ، عذبة جميلة .

نهضت اللغة العربية بحاجات هذا المصلح فى العلم والصناعة ، والزراعة والتجارة ، حتى جاء إسماعيل ، فأنشأ مدرسة خاصة لتخريج معلميها ، هى دار العلوم ، ومن هنا دخلت اللغة العربية فى طور جديد . قال المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

« إن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية ، وأين تحيا ، لوجدها تموت فى كل مكان ، وتحيا فى دار العلوم » .

اللغة العربية فى المدارس المصرية الحديثة :

منذ ستين سنة أو أكثر إلى أن نالت مصر استقلالها الذاتى سنة ١٩٢٣ — كانت العناية باللغة العربية فى المدارس مقصورة على القواعد فقط ، أما الأدبيات فكان نصيبها ضئيلاً جدًّا فى المناهج وفى الحصص . وبالتالى فى مجهود المدرسين ، حتى إنهم تحدثوا أن المسابقات بين طلبة المدارس العالية فى ذلك الحين كانت تعقد فى اللغة العربية ، وكان موضوع المسابقة لا يتجاوز إعراب بيت من الشعر ، أو آية من القرآن الكريم . ولذلك نجد من تخرجوا فى ذلك الزمن على إلمام يكاد يكون تاما بقواعد النحو والبلاغة .

ولا شك أن السياسة كانت لها اليد الطولى فى هذا التوجيه ، فحاربت اللغة العربية ، وحجبت آدابها ؛ حتى لا يتيقظ الشعب ، ويتنبه المصريون ، وعمدت إلى التوسع فى القواعد — وهى فلسفات بعيدة عن صميم اللغة — حتى يبغض الشباب لغتهم ، ويمقتوها كل المقت ؛ لصعوبة القواعد من جهة ، ولخلو المناهج من الآداب — وهى الغذاء الروحى للشباب ، والمظهر الجميل للغة — من جهة أخرى ، وبذلك ينبذون لغتهم وراءهم ظهريًّا ، ويتطلعون إلى اللغة الأجنبية ويعدونها لغة العلم والأدب والفن .

فيشب الشاب مصرى الجسم ، أجنبى العقل والروح ، فتنجح السياسة السلمية الخفية أكثر مما نجحت السياسة الحزبية المكشوفة ، كما أنه كان من آثار هذا العهد الماضى الإمعان فى تحقير مدرس اللغة العربية بنقص راتبه ، وحرمانه رزقه ، وعدم إسناد الوظائف الرئيسة إليه ، وعدم الاعتراف بمجهوده ولو أتى بالمعجزات .

على أنه حين نالت مصر استقلالها تنبه المسئولون فى وزارة المعارف إلى أن تلك الخطة فى دراسة اللغة لا تغنى فتيلا ، وأنها ليست من اللغة فى شىء ، وأن فى الإمعان فيها خطراً يتهدد اللغة ذاتها ؛ إذ أنه يصرف الناشئة عنها ، فسرعان ما غيروا المناهج وعدلوها ، ومالوا بها إلى الناحية الأدبية ، وكان المدرسون أسرع الناس تلبية لهذه الرغبة المتزنة الحكيمة ، فأخذوا يتوسعون فى الدراسات الأدبية ، ويغذون التلاميذ بالنصوص الرائعة فى جميع الدروس ، حتى درس القواعد نفسه ، فكان من بين تلاميذ المدارس الثانوية الكتاب ، والخطباء ، والشعراء الناشئون ، وحتى سالت أقلام كثير منهم بكتابة الرائع المعجب فى شتى النواحى — فى حدود ثقافتهم — وحتى كانت بعض الموضوعات التى ينشئها التلاميذ فى كراساتهم تكاد تكون نماذج تحتذى ، أو مقالات تنشر فى المجلات الأدبية . ولا يغض من قيمة هذا المجهود

المشكور أن بعض التلاميذ تحصى عليه بعض الأخطاء فى النحو ، فأمر ذلك سهل هين ، ومتى كان الناس لا يخطئون ؟

إن العرب أنفسهم أيام الدولة الأموية العربية وفى عهد أشهر خلفائها عبدالملك بن مروان أحصوا من لم يلحنوا منهم، فلم يزيدوا على أربعة ، منهم عبدالملك ، والشعبى ، والحجاج ، ولم يطعن ذلك اللحن فى عربية العرب ، ولم يقل لهم أحد : أيها العرب ، إن لغتكم أصابها ضعف ، فهو من باب أولى لا يطعن فى عربية هؤلاء النشء . وليس معنى هذا أننا نهون من شأن اللحن أو نرتضيه ، ولكن معناه أن ما كسبناه من جراء السير على الخطة الأدبية ، من إطلاق الألسنة ، وتحرير الأقلام ، يفوق كثيراً هذا اللحن الذى كان أيضاً قبل ذلك ، ويمكن تداركه بالإرشاد إليه مرة أو مرتين على الأكثر مادام فى الكاتب الفطرة والاستعداد .

حياة اللغة العربية :

اللغة العربية تحيا حياة كريمة فى بطون الكتب ، وعلى أسنة الأقلام ، فيما يؤلفه العلماء فى فروع العلم المختلفة ، وينشئه الأدباء فى المناحى الأدبية الواسعة ، وفيما تدبجه يراعات الشعراء . فإذا ما تجاوزنا الكتابة إلى الحديث والمشافهة توارت الفصحى ،

واختفت ، وحلت محلها العامية ، ذات السلطان القوى ، والتيار الجارف : إذ تتسلط على ألسنة الناطقين بالضاد جميعهم ، صغارهم وكبارهم ، علمائهم وعامتهم ، فى كل ما ينطقون ، وفى كل ما يتحدثون .
والخلاف شديد جدا بين العامية والفصحى ؛ إذ أن العامية غير معربة ، والكثير من كلماتها محرف ، أو مختل الاشتقاق ، أو مغير الدلالة عن أصله الفصيح ، كما أن طرق الأداء بها أضحت تخالف إلى حد كبير الأساليب الفصيحة . ولذلك نقول : إن للغة العربية ناحيتين : الناحية الكتابية وهى حية فيها قوية كما كانت فى أزهى عصورها ، والناحية اللسانية وهى عامية تقرب من العربية بين المثقفين ، وعامية عادية بين الأُميين .

وطريق تعلم اللغات «اسمع وانطق» ، أى المحاكاة أمر مسلم به ، والطفل المصرى لا يسمع الفصحى ، بل يسمع العامية ، فهو — إذاً — يتعلم أول ما يتعلم العامية التى يسمعها من أمه وأبيه وباقى أسرته ، ومن يطيفون به . ولذلك لا نعدو الحقيقة إذا صرحنا أن اللغة العربيـة لا تقل فى غرابتها علينا عن اللغة الفرنسية والإنجليزية مثلا . وكما يتعلم الناشئ هاتين اللغتين فى المدارس كذلك يتعلم العربية فى المدارس أيضا ، وكما يلاقى الطفل عنتا ومشقة فى تعلم هاتين اللغتين ، كذلك هو يلاقى عنتا ومشقة فى تعلم اللغة العربية .

فإذا ما قدرنا ذلك حق قدره وعددنا الفصحى غريبة عن البيت والبيئة الاجتماعية ، وأن العـامية تحاربها وتطاردها ، أمكننا أن نبحث فى هدوء وطمأنينة عن أسباب ضعف أبنائنا فى اللغة العربية .

اللغة العربية تحمل معها بعض الأدواء :

إن من أسباب ضعف التلاميذ فى اللغـة العربية ما يكمن فى هذه اللغة نفسها ، ويتصل بطبيعتها ؛ إذ أنه جزء من ذاتيتها ، وذلك هو الإعراب ، وتعدد صوره ، وتنوع مقتضياته ، وكثرة علاماته ، الأمر الذى يحير التلاميذ كثيراً ، ثم بعض طرق الأداء العربية كالعدد مع تمييزه مثلا ، وكل ذلك يجسم الحمل على الناشئ ، ويثقل كاهله ، ويجعل عمل المدرس صعباً ، ومجهوده شاقا ، وعلاج ذلك بين يدى المجمع اللغوى ، فـله أن يبسِّط هذه القواعد مشتركا مع فحول العلماء فى الأقطار التى تشاركنا لساننا ، وتقاسمنا لغتنا ، حتى يكون الإصلاح أعم ، والفائدة أشمل .

ثم الإملاء العربى عقبة كأداء فى بعض الأحيان أمام الكاتبين ، كبـارهم قبل صغارهم ، فإن قواعده واهية الأساس ، والخلاف فيهـا كثير جدا ، حتى صارت الهمزة — وبخاصة المتوسطة — مصدر حيرة لا مخرج لنا منها ، والألف اللينة أعيت

الجهود فى ضبط قواعدها ، وما يزال الخلاف يحتدم حول كلمة الموسيقا : أياء تكتب أم ألفاً ؟ والعلاج هنا سهل جدا وهين ، متى خلصت النيات ، وتظاهرت الجهود ، ونظرنا إلى المشكلة نظرة جدية . ثم هذا الوضع الغريب للغة العربية الفصحى : فقد مضت عليها قرون طويلة وهى فى المعجمات ، لا يطلع على فرائدها وكنوزها وثروتها إلا الخواص ، ومن حولها فى كل مكان وزمان العامية والتركية ، ثم الفرنسية والإنجليزية ، تغزوها وتنافسها —مستعينة بسلطانها أو مخترعاتها— فى كل ميدان ، وتطاردها على كل لسان ، ولا سيما ألسنة المثقفين . ولا ترتضى هاتان اللغتان إمداد الناس بأسماء المخترعات الحديثة فحسب ، بل تزيدان على ذلك المصادر والأفعال التى تناسب تلك المخترعات ، وما أسهل محاكاة المسموع ، فتكون النتيجة الحتمية أن تتوارى الفصحى ، ويحل محلها هذا الخليط . وتلك حال تسوء مغبتها إذا استمرت ، ولا بد من التفكير فى علاجها ، فهل لنا أن نعرب ؟ أم هل لنا أن نولد ؟ جواب ذلك عند المجمع اللغوى ، وهو الكفيل بحل هذا الإشكال . وهناك عقبات أخرى تقف فى سبيل اللغة العربية ، نذكر منها :

١ — المنزل :

إذا ما ذهب التلميذ إلى المدرسة ليتعلم العربية اصطلحت عليه عوامل كثيرة تهدم ما يبنيه المعلم من عقله ، وتفسد ما يقومه

من لسانه ، ومن أهم هذه العوامل المنزل . فأى منزل هذا الذى يلتزم سكانه الفصحى ، حتى يحيوها على ألسنة أبنائهم ، وحتى يشدوا أزر المدرس فى جهاده ؟ الله يشهد أن اللغة السائدة هى العامية فى جميع المنازل . ثم من رب الأسرة الذى يطلب إلى بنيه وبناته أن يتحروا الفصحى فى حديثهم ، ويتعمدوها فى خطابهم ، ويرفضوا العامية ، ولا يرضوها لسانالهم ؟ ومن هذا الذى يحث بنيه وبناته على استذكار دروس الفصحى مثل استذكارهم غيرها من الدروس ؟ ومن الذى إذا لمح ضعف أولاده فى اللغة العربية — بناء على تقريرات المدرسة — أسرع والتمس لهم أسباب القوة ، كما يبادر فى غير اللغة العربية من الدروس ؟ اللهم لا هذا ولا ذاك ؛ فجل الآباء والأمهات يجهلون اللغة العربية الفصحى . وفاقد الشىء لا يعطيه ، كما أن بعضهم ممن تلونت ثقافتهم بالفرنسية أو الإنجليزية يحيونها على ألسنة أولادهم ، ضاربين صفحا عن العربية . وقد يغلو بعضهم فى ذلك ، حتى يسخر بمن يتكلم العربية من أولاده . وإذا ما قالت المدرسة لوالد منهم : إن ابنك ضعيف فى اللغة العربية بدت منه أمارات التعجب والاستغراب ، كأنها ليست مادة تدرس ، ولم يزد على أن يقول : وكيف يكون ابنى كذلك ؟ ألا يعرف أن يتكلم ؟

٢ — البيئة العامة :

ونعنى بها الشارع ، والسوق ، والنادى ، والمقهى ، والقطار ، والترام ، ودور التمثيل ، والصور المتحركة ، إلى غيرها من الأماكن التى يرتادها التلميذ ، ويتصل بمن فيها ويحاورهم . وهى كلها لاشك معاول تهدم مابناه المدرس . وتفسد على التلميذ ماحفظ وما أجاد ، وتعوقه عن التعلق بالفصحى ، بل تغريه بالميل إلى العامية وإيثارها . وإذا كان سبيل اللغة « اسمع وقل » فإن التلميذ يسمع الكلمة الفصيحة مرة أو مرتين على الأكثر من مدرّسه ، على حين يسمع العامية ألفاً وألفين . أفبعد هذا نطالبه أن يلتزم العربية ؟ إنا إذاً نكلفه شططاً ، ونرهقه من أمره عسراً . ونرجو أن يأتى اليوم الذى ينتشر فيه التعليم ، ويحافظ فيه كل عربى على لغته العربية .

٣ — المدرسة :

وأعداء اللغة العربية فى المدرسة كثيرون جدا ، وأشدهم عداوة لها أولئك المدرسون الذين لايلتزمون الفصحى فى حديثهم ومحاوراتهم ، ولايحملون عليها تلاميذهم ، ولا يغرونهم بها ، كما لا يعنيهم — أحيانا — أن يصلحوا كتابات هؤلاء التلاميذ إصلاحا دقيقا .

والمدرسون جميعاً فى هذا سواء ، إلا من عصم الله ، وحفظ لسانه ، فأبان بالفصحى ، وقليل ماهم . وكيف يتعلم التلميذ الفصحى من مدرس لا يتكلمها ؟ ولو فرضنا أن أحد المدرسين يلتزمها فهل يلتزمها جميع إخوانه فى الحصص الأخرى ؟ الجواب لا . ولذلك كانت المسألة مروعة ، ولا بد من علاجها علاجا حاسما ينهض به كل المدرسين على السواء ؛ إذ أنه لا يكفى أن نكلف مدرس اللغة العربية أن يلتزمها على حين يكون سائر المدرسين أحراراً فى استعمالهم العامية ، كما أنه ليس من المستساغ أن تفصل اللغة العربية وتستقل عن بقية المواد .

والطريقة المثلى أن يفرض على المدرسين جميعا التزام الفصحى ، وأن يتعاونوا على ذلك ، حتى لا يسمع التلميذ فى الجو المدرسى إلا اللغة الفصحى ، ولا يتحدث إلا الفصحى ، ولا يكتب إلا بالفصحى . وبذلك تثبت المدرسة أمام البيئة العامة تقاومها وتناهضها ، كما أنه لابد أن يؤاخذ كل مدرس يقصر فى مراعاة ذلك . ومن الواجب أن نعد معلمى غير اللغة العربية إعداداً تاما بحيث يستطيعون التكلم باللغة العربية الصحيحة . وأما معلمو اللغة العربية فلهم شأن آخر فى الإعداد والمؤاخذة . وعلى إدارة المدرسة أن تأخذ التلاميذ باللغة الفصحى فى كل ما يصلهم بها ، ولا ترضى بها بديلا .

٤ — الفتنة بكل ماهو أجنبي :

ومن الأدواء الدوية التي مني بها المصريون تعلقهم بكل ماهو أجنبي ، في اللغة وغير اللغة ، يفضلونه على ما عندهم من ندٍّ ونظير ، وقد أورثهم ذلك عدم الثقة بالنفس ، وفقدان الكرامة ، وانطفاء نيران الغيرة ، حتى إن بعض المفتونين ممن استهوتهم مدنية الغرب وحضارته يسول لهم هذا الداء أن كل ماهو أجنبي عظيم ، وكل مصري بجانبه حقير ، في اللغة والعلم والصناعة والتجارة . . . فمن الكمال عندهم والجلال أن يصطنعوا الفرنسية أو الإنجليزية في حديثهم وبيعهم وشرائهم . ومن السخف والتأخر أن يتكلموا العامية العادية ، وأسخف السخف أن يتكلموا أو يخاطبوا بالفصحى ، فهؤلاء وأمثالهم حرب على اللغة ، ولا ينتظر منهم خير لها مهما تعلموها ، بل عقوق وكفران ، واحتقار وازدراء . وينشأ النشء بينهم على غرارهم ، فأولى بنا أن نتجه إلى هؤلاء ، ونرد إليهم عازب صوابهم ؛ حتى يفهموا أن لهم قومية وكرامة ، وخير مقومات هذه القومية والكرامة اللغة ، فإذا أرادوا أن يحتفظوا بكرامتهم فعليهم أن يحيوا لغتهم ، وينهضوا بها ، ولا يتخاطبوا بغيرها إلا عند الضرورة .

٥ — مزاحمة اللغة الأجنبية للعربية فى المدارس :

ولعل من أسباب ضعف اللغة العربية مزاحمة اللغة الأجنبية لها فى المدارس الابتدائية ، والطفل لمـّا يتمكن من لغته القومية ، ولمـّا يحسن الأداء بها ، فتدهمه لغة أجنبية تخالف لغته فى الصوت ، وفى كثير من وجوه الأداء ، وتكوين الجمل ، فيصير الطفل حائراً بينهما ، وهو فى سن مبكرة ، لم ينضج له عقل ، ولم يسدد منه رأى ، وقد تسول له نفسه أن لغته العربية ماهى إلا اللغة العامية ، فيهملها اغتراراً بأن البيئة ستغذيه بها ، ويلتفت إلى اللغة الأجنبية بكل عزمه ، تغريه بجدتها من ناحية ، وسمو أهلها وجلالهم من ناحية أخرى ، ثم بالعناية بكتبها ونظامها وإتقانها من ناحية ثالثة ، وفوق ذلك كله الامتحانات القاسية فيها كل عام ، تلك الامتحانات التى تروع التلاميذ فى غدوهم ورواحهم ، وتلزمهم أن يبذلوا فى اللغة الأجنبية مجهوداً سخيا حتى يجوزوها ، فتكون النتيجة إهمالاً للغة العربية ، يقابله عناية واجتهاد وجد فى اللغة الأجنبية . ويزيد الطين بلة إقحام اللغة الأجنبية الثانية فى مناهج المدارس الثانوية ، مع ما يصحب ذلك من تقليل فى عدد حصص اللغة العربية ، حتى لكأن اللغة الأجنبية الثانية تدرس على حساب اللغة العربية .

وقد أحست وزارة المعارف هذا الخطر ، فشرعت تتأخر

باللغة الأجنبية فى المدارس الابتدائية ، وكذلك فعلت باللغة الثانية فى المدارس الثانوية ، ونعم ما صنعت .

ومن الواجب حذف اللغة الأجنبية فى السنتين الثالثة والرابعة من المدارس الابتدائية ، وإضافة حصصها إلى حصص اللغة العربية : حتى يلم بها التلاميذ إلماما تامًّا فى المرحلة الأولى من التعليم ، على أن يكتفى بلغة أجنبية واحدة فى مرحلة التعليم الثانوى . ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر اللغة الأجنبية وفائدتها علميا وعمليا واجتماعيا ، ولكن الذى ننكره إرهاق التلاميذ وهم صغار ، وإضعاف اللغة القومية . فلو عنينا باللغة العربية فى جميع مراحل التعليم ، والأجنبية فى الثانوى — لاستطاع التلميذ المصرى أن يجيد لغته العربية ولغة أجنبية واحدة بعد الانتهاء من التعليم الثانوى .

٦ — قلة عدد الحصص فى المدارس الثانوية :

وفوق المزاحمة السابقة من لغتين أجنبيتين تمنى اللغة العربية بنقص عدد حصصها من جهة ، وزيادة عدد فروعها من جهة أخرى ، فيصير للمطالعة حصتان ، وللنصوص حصة ، وللأدب وتاريخه حصة ، وللإنشاء الشفهى والتحريرى حصة ، وللقواعد والتطبيق

حصتان فى مدارس البنين ، وحصة واحدة فى مدارس البنات .

وقد كان يمكن أن يكون ذلك التضييق مقبولا لو أننا نسير فى تعليم اللغة العربية على أسس قويمة ، ولكن الأمر على العكس ؛ فنحن ننظر إلى القواعد نظرتنا إلى الحساب مثلا ، وننظر إلى الأدب وتاريخه كما ننظر إلى التاريخ العام ؛ أى أنها علوم مستقلة ؛ وهكذا تضعف الصلة جدا بين فروع اللغة ، ويضمحل الإعداد اللغوى الصحيح ، ويحل محله استظهار المعلومات فى فروع اللغة العربية ، وما أبعدها عن صميم اللغة العربية .

ويجمل بنا أن نعد اللغة سلسلة متماسكة الحلقات ، فيجب أن تنسجم تلك الحلقات وتتماسك ، حتى تكون السلسلة المؤتلفة منها قوية ومتينة .

٧ — تاريخ الأدب :

ويعد تاريخ الأدب أجنى الجناة على التلاميذ أولاً ، وعلى الأدب ثانيا ؛ إذ كيف يعرف طالب السنة الأولى الثانوية معنى الأدب ، وصفات الكلام الجيد والردىء ، والعصور الأدبية ، والأساس الذى عليه قسمت ، والعوامل المؤثرة فى حياة الأدب ؟ يلزم الطالب المبتدئ بمعرفة ذلك كله قبل أن يعرف شيئاً عن

الأدب نفسه ، وبعد ذلك يسترسل المنهج فى تاريخ الأدب ضاربا صفحا عن الأدب نفسه ؛ حتى صار درس تاريخ الأدب من أصعب الدروس على التلاميذ وأثقلها ؛ إذ يلزمهم حفظ مصطلحات ، واستظهار قواعد ومستنبطات ليس لها أساس — فى عقل التلاميذ — يسندها ، ولا دعائم تثبتها . وكان من الواجب أن يدرس تلاميذ المدارس الثانوية الأدب ونصوصه لا تاريخ الأدب؛ حتى يتكون لديهم ذوق أدبى .

٨ — درجات فروع اللغة العربية :

وتتجمع درجات الفروع كلها لتكون درجة اللغة العربية ، ومتى نال الطالب خمسا وعشرين منها فقد فاز ، ولو كان نصيبه فى أحد هذه الفروع صفراً ، وفى ذلك من الشذوذ والغرابة الشىء الكثير ؛ إذ كيف يستساغ هذا الوضع مع قولنا : إن فروع اللغة حلقات تؤلف سلسلة واحدة ؟ إن مقتضى كلامنا هذا أن يرسب الطالب فى اللغة كلها إذا رسب فى فرع من فروعها ؛ لأن السلسلة المتصلة إذا فقدت حلقة واحدة من حلقاتها انفصلت وانقطعت ، ولكن هذا الطالب الذى ينال صفراً فى الأدب مثلا قد ينجح ، فشتان ما بين نظرياتنا وتطبيقنا لتلك النظريات . وقد عرف

الطلاب هذا الخطأ واستمرءوه ، فأخذوا يهملون بعض الفروع اتكالا على قوتهم فى بعض آخر ، فأهملوا الخط والإملاء فى المدارس الابتدائية اعتماداً على قوتهم فى الإنشاء ، وأهملوا الإنشاء حيناً اتكالا على إلمامهم بالقواعد والأدب فى المدارس الثانوية .

ولو أننا حددنا لكل فرع نهاية صغرى كما فى مجموعة الآداب أو الرياضة مثلا لوجدنا التلاميذ يصرفون جهداً ملائماً فى الفروع كلها ، فلا يطغى أحدها على الآخر .

٩ — المكتبات المدرسية :

بالاطلاع على تقارير حضرات المفتشين سنة ١٩٤٥ وجدناهم يشكون من الشكوى من عدم انتفاع التلاميذ بمكتبات المدارس ، وإنا نرى أن نهضة الأمة متوقفة إلى حد كبير على تعود التلميذ من صغره أن يكون قارئا . فلو ظفرت مصر بفضل حضرات المفتشين والنظار والمدرسين بتكوين هذه العادة الطيبة ، لَحُلَّ كثير من المشكلات الاجتماعية والخلقية فى مصر .

تشترى وزارة المعارف بعض الكتب الجديدة ، وترسل إلى كل مدرسة حظًّا منها ، فتزود مكتبة المدرسة ببعض الكتب والمجلات ، وفى كثير من المدارس لاتصل أيدى التلاميذ إليها ، وهم فى سن

يحتاجون إلى الترغيب والإرشاد ، وعهدنا بأمناء المكتبات والأساتذة فى غير مصر أن يخصصوا لذلك وقتا ملائما ، ويعرضوا على التلاميذ مافى الكتب من نفائس ، لتشجيعهم على قراءتها ، وقد بلغ حب الأستاذ لتلاميذه أن يعيرهم كتبه الخاصة ، ويضفى عليهم روحا من عطفه وكرمه .

يقول (المسترمان) فى تقريره عن التعليم فى مصر سنة ١٩٢٩ : « فتلميذ المدرسة الأولية لايقرأ فى خلال حياته المدرسية سوى كتابين أو ثلاثة كتب صغيرة يسهل عليه أن يحفظها ، كما أن حالة المدارس الابتدائية والثانوية ليست من هذه الناحية أرقى كثيراً من حال المدارس الأولية ، فلا بد من الإكثار من الكتب العربية الصالحة » .

ونعتقد أن الوزارة ستعمل على الإكثار من الكتب التى تضاعف الفائدة المرجوة . وأملنا أن يذهب كل مدرس بطلبته إلى خزانة الكتب المدرسية ، ويشوقهم إلى القراءة والاطلاع ، ويفهمهم طريقة البحث فى الكتب ، ويحثهم على الاستعارة والمطالعة فى أوقات الفراغ ؛ فإن هذا من أهم عوامل الثقافة التى تكون الشخصية المصرية الرفيعة ، ومن عوامل النهوض باللغة العربية .

ومن المفيد أن يربط أساتذة اللغة العربية المطالعات العامة فى

المكتبة وخارجها بدروس الإنشاء والمطالعة خاصة ؛ حتى تتدرج عقول التلاميذ فى فهم حقائق الحياة، وذلك كفيل بتحسين أسلوبهم فى النطق والكتابة وتقديرهم قيم الأشياء .

ولا أبالغ إذا قلت إنى رأيت فى المكتبات المدرسية المجلات التى تشترك فيها الوزارة لم ينزع عنها الغلاف . ومن الواجب أن يكون كل ما بالمكتبة من كتب ومجلات فى متناول كل تلميذ، يقرأ منها مايشاء ، ويستعير منها مايريد .

وينبغى أن يكون إلى جانب المشرف على المكتبة جماعة من الطلبة يعاونونه على ترتيبها وتنظيمها . ويحسن أن يتم اختيارهم عن طريق الانتخاب ، فيقوم كل فصل بانتخاب أحد تلاميذه لتمثيله فى جماعة المكتبة : ليحس كل تلميذ أنها مكتبته الخاصة يهمه أمرها ورعايتها .

ويجب أن نشعر التلميذ بثقتنا به ، واطمئناننا له ، وأمننا جانبه ، فنكل إليه — وحده — التوجه إلى سجل الإعارة ، ليكتب فيه اسم الكتاب الذى استعاره ، ونوعه واسم مؤلفه ، ورقمه ، وتاريخ استعارته ، ثم يوقع بنفسه بالتسلم ، بعد أن يحدد له المشرف مدة معينة ، تكفى لقراءة الكتاب ، قراءة تدبر وإمعان ، فإذا انتهى التلميذ من قراءة الكتاب فى المدة المعينة أعاده بنفسه إلى موضعه

فى المكتبة بحيث لا يضع رقم ١٠ موضع ١٥ أو العكس .

أما إذا أخر الكتاب عن المدة المعينة فإنه يعاقب بدفع نصف قرش فى اليوم الأول ، وقرش فى اليوم الثانى وهكذا ، على أن يشترى بما يجمع من نقود كتب ملائمة تضاف إلى ما بالمكتبة .

وبهذه الوسيلة تستطيع المدرسة أن تبث فى التلاميذ روح النظام والأمانة ، والتعاون ، والدقة فى المواعيد ، ويتسنى للمشرف أن يعرف ميول كل تلميذ ، وما يستهويه من الكتب ومالا يستهويه ، وأن يعرف من استعار من التلاميذ فيشجعهم على الاستزادة منها ، ومن لم يستعيروا فيحثهم على الاستعارة ، ويبين لهم أهميتها ، منتقيا لهم بنفسه مايجتذبهم ويستميلهم ، ويرغبهم فى القراءة ، ويحبب إليهم الاطلاع .

والحق أن مكتبات المدارس مليئة بالكتب العربية القديمة ، وتلك الكتب فى موضوعاتها وأساليبها وطريقة طبعها ربما لا تفيد التلاميذ كثيراً ؛ فما أحوجها إلى التهذيب والتنقيح ، والتبويب والتنسيق ، ثم الطبع الجميل ؛ حتى تتم بها الفائدة ، فإذا ما تركنا هذه الكتب القديمة ، واتجهنا صوب الكتب الحديثة وجدنا الأعداد القليلة التى لا تروى من جمهور التلاميذ ظمأ ، ولا تنقع غليلاً ، وبناء على ذلك تكون المطالعة الحرة فى المدرسة — وبخاصة

الابتدائية — نادرة أو معدومة ، مهما تتحدث عنها المناهج ، ومهما يوص بها المربون . ومما يحول بين المكتبات والانتفاع بها قلة أثاثها ، وعدم الاتساع فى حجرها ، ثم عدم وجود الموظفين المختصين بها .

وينبغى أن تحظى مكتبة المدرسة بعناية خاصة ؛ حتى تؤتى الثمر المرجو منها ، وتؤدى الرسالة التى خلقت لها ، فنختار لها الكتب التى تناسب الفرق المختلفة ، ونفرض زيارتها على كل الفرق فى حصص خاصة داخل الجدول أو خارجه . ويجب أن تخصص أوقات واسعة للمطالعة الحرة بها ، وتسهل الاستعارة منها ، ويقتضى ذلك تعيين أمين لكل مكتبة ليس له عمل غيرها ، أو تكون الجزء الرئيسى من عمله ، كما يقتضى إيجاد الأماكن المناسبة ، والأثاث المريح ، وإنفاق الأموال للتغذية بالكتب الجديدة المفيدة ، وما ذلك على الوزارة بعزيز متى صدق العزم ، وصحت النية .

١٠ — العناية بأسلوب الكتب الدراسية :

للنهوض باللغة العربية يجب أن نعنى بأسلوب الكتب الدراسية فى جميع المواد ، بحيث تكون الكتب سليمة اللغة ،

حسنة الأسلوب ، خالية من الخطأ . ولتحقيق هذا يجب أن تكون في الوزارة لجنة من أساتذة اللغة العربية المبرزين للفحص عن الكتب المدرسية ، والعمل على سلامتها من الخطأ والتعقيد .

وخلاصة القول أن اللغة العربية مهملة فى البيت والمجتمع ، والعناية بها أقل من العناية باللغة الأجنبية فى المدرسة ؛ فحصص اللغة العربية قليلة ، ومدرس اللغة العربية مرهق ؛ لأنه يجاهد وحده فى سبيل النهوض بها ، فى حين أن مدرسى المواد الأخرى يدرسون باللغة العامية . والطالب المصرى مرهق بكثرة المواد ، وطول المقررات ، وهو مكلف أن يدرس فى الثانوى ثلاث لغات ، فهل نعجب إذا انتهى من المرحلة الثانوية ، وهو لا يجيد لغة من اللغات ؟ فبدلاً من دراسة لغتين أجنبيتين ينبغى أن يدرس لغة أجنبية واحدة يختارها ، ونعمل على أن يجيدها ، ويجيد اللغة القومية فينتفع بهما معاً .

واجبنا نحو النهوض باللغة العربية

إن اللغة العربية ليست مادة عادية من المواد الدارسية، ولكنها اللغة القومية؛ لغة القرآن الكريم والدين، لغة الوطن والعروبة، ففي إحيائها إحياء للدين، ومحافظة على القرآن الكريم، وتمجيد للوطن والعروبة. وفي إهمالها إهمال لهذه الشعائر المقدسة، وتهاون في شأنها.

فاللغة العربية أهم مادة أساسية فى جدول الدروس، وهى المادة التى يجب أن تنال كل عناية من كل مدرسة، وكل مدرس. وتعليمها يجب أن يكون أهم الأغراض التى نرمى إليها، وأساتذتها يجب أن يوضعوا فى المراكز التى تلائم مايبذلون من جهد عظيم فى إعلاء منار الدين، ولغة الدين، وفى خدمة الوطن، ولغة الوطن.

فاللغة العربية لدينا وسيلة لدراسة المواد وفهمها، وبغيرها لايمكن درس ولاتعليم. وإن التلميذ المبرز فيها يستطيع بسهولة أن يفهم كل مادة من المواد الدراسية الأخرى، ولا يجد صعوبة فى دراسة كتاب جغرافى، أو تاريخى، أو صحى، أو أدبى. فالتقدم فيها يساعد من غير شك على التقدم فى غيرها، والنهوض بها نهوض

بغيرها من المواد : فهى اللغة التى نعبر بها عن آرائنا وأفكارنا ، وهى الوسيلة التى نشرح بها كل علم من العلوم ، أو فن من الفنون . وبها نفكر ونفهم ، وبها نحاول تفهيم غيرنا ما نشاء .

ويجب أن نصرح بأن من الواجب أن يعنى كل مدرس باللغة العربية — مهما تكن المادة التى يقوم بتدريسها — ويعمل للنهوض بها ، بحيث لا يَسمع التلميذ فى أى درس من الدروس إلا اللغة العربية ، ولا يناقَش ولا يُسأل ولا يُشرح له شىء إلا باللغة العربية[1] . ولهذا يجب أن يجيدها كل مدرس ، بحيث يستطيع أن يقرأ قراءة صحيحة ، ويكتب بلغة سليمة ، ويتحادث ويشرح ويسأل بلغة خالية من الخطأ ، بعيدة كل البعد عن اللغة العامية ، قريبة ما أمكن القرب من اللغة الفصحى . فإذا سمع التلميذ لغة عربية فى كل درس ، ووجد عناية بها من كل مدرس — سواء أكان مدرساً للآداب أم للعلوم أم للفنون ، أم للغة العربية — تقدم التلميذ تقدماً واضحاً ، وشعر بما لها فى الحياة من أثر بالغ ، وأهمية عظيمة .

وبهذه الطريقة تستطيع المدرسة أن تقوم بما يجب عليها نحو

---

(١) يستثنى من هذا طبعاً تدريس اللغة الأجنبية ؛ فللنهوض بها يجب أن تكون الأسئلة باللغة الأجنبية ، والأجوبة والشرح والنقاش بها أيضاً .

لغة الوطن ، ويستطيع المدرسون القيام بواجبهم نحو أمتهم .
ولسنا ننكر أثر العناية باللغة العربية وطرق تدريسها ، فى الأوقات المعينة لها ، ولكننا ننكر أن هذه هى الوسيلة الوحدة للنهوض بها ؛ فالأوقات التى خصصت لتعليمها محدودة ، وهى لا تكفى للوصول بها إلى الغاية المنشودة .

ولا نستطيع أن ننسى أن اللغة العامية التى يتحدث بها التلميذ فى المنزل والمجتمع عقبة كأداء فى سبيل اللغة العربية ، وأن البيت قد يهدم ما تبنيه المدرسة . وإذا كنا لا نملك وسيلة لمحاربة هذه العامية فى البيوت والمجتمعات ، فإن المدرسة تستطيع أن تعيد مجد العربية ، وترفع شأنها ، وأن تحارب العامية ، وتخضد شوكتها ، فى فصول الدراسة ، وفى فناء المدرسة كما تفعل المدارس الأمريكية والفرنسية ، للنهوض باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ، وكان من أثره ما يظهره التلاميذ من نجاح كبير فى اللغة الفرنسية بمدارس الليسيه ، وفى اللغة الإنجليزية بالمدارس الإنجليزية والأمريكية ، ولا نرى له مثيلا من تلاميذنا المصريين فى دراسة اللغة العربية مع الأسف الشديد . وليس السبب تقصير مدرسى اللغة العربية أو إهمالهم ، ولكن السبب ضعف مدرسى المواد المختلفة فى اللغة العربية ، واعتمادهم على العامية فى الشرح والمناقشة .

ولا شك أنه إذا تعاون المنزل مع المدرسة على النهوض باللغة العربية ، وتعاون مدرسو المواد الأدبية والعلمية والفنية مع مدرسى اللغة العربية ، فاعتمدوا عليها فى دروسهم ، تقدمت تقدماً كبيراً من حيث لا نشعر ، وظهر أثر هذا التقدم فى حب التلاميذ للقراءة والاطلاع ، وفى صحة أسلوبهم فى الكتابة والمحادثة ، وفى التفكير والتعبير .

ولذلك يعد كل مدرس فى المدارس المصرية مسئولا عن اللغة العربية ، ويجب أن يتحمل نصيبه من التبعة فى تعليمها ، والنهوض بها فى دروسه عرضاً أو قصداً ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

ولا يعد المدرس قائماً بواجبه ، ناجحا فى عمله ، إلا إذا أدى للغة العربية حقها من العناية والرعاية ؛ فإن إجادة اللغة العربية شرط أساسى للنجاح فى تدريس أى مادة من المواد .

وعلى كل مدرس ألا يقبل خطأ فى اللغة ، أو لحناً فى النطق ، أو ركة فى التعبير . بل يعمل على إصلاح كل خطأ ، وتقويم كل لسان ، وتهذيب كل عبارة ركيكة . ولن يستطيع المدرس أداء هذه الرسالة إلا إذا عرف اللغة العربية حق المعرفة ، مهما تكن المادة التى يقوم بتدريسها ؛ فلن يمكنه أن يقوّم ألسنة التلاميذ ، ويهذب لغتهم ، ويصقل عبارتهم ، إذا كان جاهلاً باللغة ؛ فإن

فاقد الشيء لا يعطيه . وعلم المدرس بدقائق الجغرافية ، وحقائق التاريخ ، ومسائل الرياضة والعلوم لا يكفى ، بل لا بد أن يعززه علم تام باللغة العربية ، ليستطيع التعبير الصحيح عما يريد شرحه من هذه الحقائق .

والحق أننا إذا عنينا باللغة العربية فى كل درس ، وشعر التلميذ بهذه العناية والغيرة من كل مدرس ، تقدم فى لغته من حيث لا يدرى ، ونهضنا بلغتنا من أقرب السبل ، وتخرج الطالب من مدرسته الثانوية . وهو مجيد للغة القومية قراءة وكتابة وحديثاً ، واستطاع أن يقرأ أى كتاب عربى ، حديث أو قديم ، وأن يفهمه حق الفهم ، ويشعر بما فى قراءته من لذة ومتعة وجمال .

ولتشجيع التلاميذ على التكلم باللغة العربية ، يجب ألا نكتفى بالأجوبة الموجزة عن الأسئلة التى نلقيها عليهم ، وأن نشجعهم على التعبير عن أفكارهم بعبارات مختلفة ؛ حتى يعتادوا التعبير السليم . وإذا قرءوا قطعة من القطع كلفناهم ذكر معناها بعبارة من إنشائهم ، من غير تقيد بعبارة الكتاب ، أو أسلوب المؤلف ؛ حتى يرسخ المعنى فى أذهانهم ، ويشجعوا على التعبير الشفهى حيناً ، والكتابى حيناً آخر .

وكثيراً ما يكون خطأ التلاميذ فى الإجابة ناشئاً عن الخطأ

فى التعبير ، أو عدم فهم العبارة ، أو الغموض فى الفكرة ، فإذا كانت العبارة واضحة ، والفكرة جلية لدى التلميذ ، فمن السهل عليه أن يعبر عنها تعبيراً صحيحاً .

وهناك تعبيرات كثيرة فى كتب مدرسية كتبت خاصة للأطفال ، لا يستطيع الأطفال أن يدركوها ؛ لأن اللغة التى كتبت بها تختلف كل الاختلاف عن اللغة التى اعتادوها ، أو التى تدخل فى حيز إدراكهم . وهناك تعبيرات إصطلاحية لا يمكنهم أن يفهموها إلا إذا شرحت لهم ، ووضحت بطريقة حسية .

ولكى نصل إلى الغرض الذى ننشده ، والمثل الأعلى الذى نطمح إليه فى تدريس اللغة العربية ، يجب أن يكون التعاون تاما — بين مدرسيها ومدرسى المواد الأخرى — على إحياء لغة البلاد . ويجب أن يعنى كل مدرس بترغيب التلاميذ فى اللغة العربية ، وتشويقهم إلى الاستمرار فى دراستها ؛ حتى ينتفعوا بما فيها من ذخائر أدبية ، شعرية أو نثرية ، ويتكون لديهم الذوق الأدبى ، والأسلوب الفنى ، ويستطيعوا الحكم على اللغة وأساليبها ، ويقدروا ما فيها من روعة وتأثير وجمال .

ولا مانع من أن يقرأ المدرس لتلاميذه رحلة جغرافية فى كتاب أدبى ، أو قطعة أدبية فى كتاب تاريخى ، أو يقرأ لهم

قصصاً لبعض العظماء والأبطال ، أو روايات تاريخية ، أو موضوعات أدبية أو اجتماعية أو خلقية .

وليس من العسير أن تكتب العلوم بلغة أدبية ؛ لتسير العلوم والفنون والآداب مع اللغة العربية جنباً لجنب ، فكتاب الحيوان للجاحظ مثلا يعد كتاباً أدبيا مع أنه يبحث عن الحيوان ، ومميزات كل نوع منه . وكتب الحسن بن الهيثم كتب علمية ألفت بلغة أدبية ، ومقدمة ابن خلدون وتاريخ الطبرى وابن الأثير كتب تاريخية ، ولكنها تعد فى مقدمة الكتب الأدبية .

ومن السهل تشجيع تلاميذ السنة الرابعة الابتدائية ، وتلاميذ المدارس الثانوية ، على بحث موضوع تاريخى ، كسيرة سيدنا أبى بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو على ، أو خالد بن الوليد ، أو عمر ابن عبد العزيز ، أو صلاح الدين الأيوبى ، أو محمد على باشا ، أو مصطفى كامل ، أو محمد فريد ، أو سعد زغلول ، أو غيرهم من العظماء ؛ بأن تذكر لهم المراجع والفصول التى يقرءونها باللغة العربية ، والكتب التى يطلعون عليها ، للبحث عن عناصر الموضوع المطلوب ، فإذا قرأ التلميذ الموضوع فى عدة كتب ، استطاع أن يختار مادته ويرتبها ، ويكتبها منظمة منسقة ؛ بإرشاد مدرس اللغة العربية ومدرس التاريخ ؛ حتى يستطيع فى النهاية أن يعد محاضرة

صغيرة عن أحد العظماء والأبطال ، تستغرق ربع ساعة إن كان في السنة الرابعة الابتدائية ، أو ثلث ساعة إن كان في السنوات الأولى والثانية والثالثة الثانوية ، أو نصف ساعة إن كان من طلبة الثقافة أو التوجيهية .

بهذه الوسيلة نعود التلاميذ البحث والاطلاع في أوقات الفراغ ، والترجمة والتأليف من الصغر ، فإذا شبوا استطاعوا أن يعتمدوا على أنفسهم في البحث والتنقيب ، والكتابة والتأليف ، وأن يعبروا عن أفكارهم باللغة العربية أصح التعبير ، وصاروا كتّابا بارعين ، وأدباء ممتازين ، أو علماء باحثين ، أو مؤرخين مدققين .

وكما نشجع التلاميذ على إلقاء محاضرات صغيرة باللغة العربية ، يجب أن نشجعهم على الاشتراك في مناظرات في موضوعات اجتماعية أو خلقية أو وطنية ؛ لنعودهم التعبير الشفهي والكتابي ، ونمرنهم على الجدل والنقاش ، والبحث والمناظرة ، والإلقاء والتمثيل .

ويجب ألا ننسى تمثيل بعض الروايات المناسبة في المدرسة ؛ فهذه أحسن وسيلة لتمرين الطلبة على حسن الإلقاء ، وإجادة التعبير والحفظ ، والشجاعة في الظهور أمام المجتمع ، بتمثيل كل طالب دوره في القطعة التمثيلية ، والقيام بنصيبه في إعداد المسرح ، واختيار الملابس ، بالاشتراك مع زملائه ، والتعاون معهم على إخراج الرواية بدقة ومهارة .

ولتقويم ألسنة التلاميذ يجب أن نشجعهم على أن يحفظوا أكبر مقدار ممكن من القرآن الكريم . ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر القرآن الكريم فى تقويم اللسان واللغة ؛ فهو المثل الأعلى الذى يقتدى به الكتّاب فى كتابتهم ، والأدباء فى أسلوبهم . ويجب أن نجعله دائما نصب أعين التلاميذ ، ونختار لهم منه مايلائمهم : حتى يتذوقوا جمال اللغة ، ونصاعة الأسلوب ، ودقة العبارة ، وروعة التأثير ، وعذوبة التعبير ، فحفظ كثير من الآيات القرآنية يساعد التلاميذ فى المستقبل على الاقتباس من القرآن ، والانتفاع بما فيه من حكم وعبر ومواعظ ، فأسلوبه غير عادى ، وجماله لا يقدر ، ولا يمكن أن يمل مهما يكرر .

فإذا أردنا النهوض باللغة العربية وإصلاح لغة التلاميذ ، وترقية مستواها ، وجب أن نشجعهم على حفظ كثير من الآيات القرآنية وقراءة كثير من قصص الأنبياء المكتوبة بأسلوب عربى جميل .

ولا يكفى أن يحفظ التلاميذ هذه الآيات ، بل يجب أن يفهموها حق الفهم ، ويتذوقوا مافيها من جمال وروعة وتأثير . وفى أثناء التلاوة يجب أن نعنى بحسن الإلقاء ، وتمثيل المعنى ، وإخراج الحروف من مخارجها ، والوقف حيث يجب الوقف ، والوصل حيث يجب الوصل .

بهذه الوسيلة نخدم اللغة العربية ، ونقوم ألسنة التلاميذ ، ونبث فيهم الروح الدينى ، ونحبب إليهم اللغة القومية ، لغة القرآن والدين ، لغة العرب والإسلام .

وعلى المدرس أن يعد عقول تلاميذه للتعمق فى مادته ، فتزداد أفكارهم ومعلوماتهم ، ويقوى أسلوبهم بكثرة القراءة ، وطول المرانة .

ومن الواضح أن كل درس من دروس اللغة العربية لابد أن يعتمد على موضوع علمى ، أو تاريخى ، أو فنى ، أو اجتماعى ، أو اقتصادى كما يشاهد فى دروس المطالعة ، وموضوعات الإنشاء ، وقطع الإملاء والمحفوظات ، وأمثلة القواعد . وهكذا يستطيع التلاميذ فى كل درس من دروس اللغة العربية أن يقفوا على بعض الحقائق والمعلومات النافعة فى كل ناحية من نواحى الحياة .

هذا ما يجب أن نقوم به للشد أزر اللغة العربية فى حجرة الدرس ، والعمل على وصلها بالحياة .

ولكى ننهض بها نهوضاً قويا يعيد إليها عُصورها الذهبية يجب علينا أن نرجع إلى تاريخ نهضتها فى العصر العباسى ، فإذا نحن قلبنا صحائف هذا التاريخ وجدنا أن من أسباب نهضتها الترجمة والنقل . فاللغة العربية الغنية بألفاظها ، ومجهودها العلمى القديم — لاتزال

فقيرة فى مجهودها الثقافى الحديث ، ولاتزال جامعتنا الكبيرة تعتمد على المراجع الأجنبية فى كثير من أبواب المعرفة ، وألوان الثقافات . وماتزال المكتبة العربية فى أشد الحاجة إلى كثير من المؤلفات . وإلا فأين المكتبة العربية التى تضم مجموعة فى الكتب الطبية بهذه اللغة ، أو مجموعة فى علم النفس ، أو مجموعة فى الفنون الجميلة ؟

فإذا أردنا لهذه اللغة نهوضا سريعاً تشارك فيه أعظم اللغات الحية فى هذا العصر فما علينا إلا أن نتخذ الترجمة سبيلا إلى ذلك . وقد وصلت اللغة العربية إلى سيادتها العلمية والأدبية فى أيام العباسيين ، حين وعت حضارةَ الفرس ، وحكمةَ الهند ، وفلسفةَ اليونان . فعوامل النهوض باللغة العربية ترجع إلى أسباب داخلية ، وإلى أسباب خارجية : وهى نقل مقومات المدنية الحديثة ، ومشخصاتها إلى اللغة العربية . فإن نحن فعلنا ذلك قمنا بخدمة جليلة للغتنا ، واستطاع تلاميذنا وعامة المثقفين فى مصر أن يجدوا أمامهم فيضاً زاخراً من المؤلفات الحديثة ، التى تشبع نهمهم العلمى ، وتلبى ذوقهم الأدبى ، ورغبتهم فى الاطلاع والبحث . وحين نوفق إلى تحقيق ذلك سنجد طلبة الجامعة يعتمدون على المراجع العربية فى دراستهم ، ونجد العلم الأوروبى فى كتبنا العربية . وهنالك نكون

قد حققنا كل ما ترجوه اللغة العربية من أبنائها من عناية بهـا ، ونهوض بشأنها ؛ حتى تسترد عظمتها ، وتتبوأ مكانها اللائق بها بين أرقى اللغات الحية الناهضة .

ولتشجيع مدرسى اللغة العربية يجب أن نثيب المبرزين منهم أدبيا وماديا ، ونفتح سبل الترقى أمامهم ، وننظم لهم محاضرات عميقة فى الأدب العربى، والنظريات الحديثة فى التربية وعلم النفس ، ونعمل على تحقيق آمالهم حتى يشعر التلاميذ والزملاء بما للغة القومية من منزلة ومكانة .

ولا يمكننا أن ننكر أن التلاميذ فى حاجة إلى تغذيتهم بكثير من الكتب الملائمة لعقولهم : المتصلة بحياتهم ، المشجعة على القراءة والاطلاع ، فى أوقات الدراسة والفراغ : حتى يجد الطالب المصرى أمامه الفرصة فى اختيار ما يميل إليه من الكتب القديمة والحديثة .

وخلاصة القول أن نهضة اللغة العربية نهضة للأمة ، وإحياءها إحياء للعروبة . ومن الواجب التعاون على النهوض بها وبرجالها . وكل مدرس يجب أن يعنى باللغة العربية — مهما تكن المادة التى يقوم بتدريسها — ويحرص على التكلم بها ، والعمل على إنهاضها فالنهوض بها نهوض بغيرها من المواد . وبغيرها لا يمكن درس ولا فهم ولا تعليم .

المحاضرة الثانية
التوجيهات الحديثة في تدريس اللغة العربية

سنذكر هنا توجيهات موجزة فى تدريس اللغة العربية والدين ، وهى خلاصة تجاربنا وإرشاداتنا ، ونرجو أن نقدم لمصر والشعوب العربية قريباً كتابا مفصلا عن « الطرق الحديثة لتدريس اللغة العربية » .

مقدمة :

بمصر نهضة فى التعليم ، وتقدم فى أساليب التربية ، وتأثر بالمدرسة الحديثة وطرقها . وعلم النفس ونظرياته . يشعر بهذه النهضة وهذا التقدم من رأى المدرسين اليوم ورآهم منذ عشرين سنة أو أكثر . وليس معنى هذا أننا وصلنا إلى الكمال الذى نرجوه ونفكر فيه ، وإنما نحن بسبيله .

وإنا نعتقد أن جانباً عظيما من مستقبل مصر الحديثة رهن بإجادة تعليم اللغة العربية ، لغة الوطن ، وأداة التهذيب ، وأن مجهود المدرسين فى المدارس محمود مشكور ، ولكنه يحتاج إلى المزيد من العناية الصادقة ، كشأن كل مرافق الحياة فى مصر .

والاتجاهات الحديثة فى التربية تقتضى جعل المدرسة محبوبة للتلاميذ بوسائل التشويق ، وتنمية الرغبة فى كل ما يمت إلى المدرسة بصلة .

ومن الخير أن يمرن الأساتذة تلاميذهم على أن يعملوا بأنفسهم ما يستطيعون ، وأن يكون الدرس شركة بين المدرس والتلميذ . وإن فى الواجبات المنزلية المنتظمة التى يستسيغها التلاميذ — وتكون فى حدود طاقتهم — لأثراً فعالا فى التكوين العقلى والخلقى ، وحفزاً لهم على أن يسترشدوا بأساتذتهم .

والمدرس الماهر هو الذى يجمع بين الرفق بالتلاميذ وحسن النظام . ويجمع بين الحرية والحركة الطفلية فلا يضيق بها ذرعا ، وبين الإصغاء للمعلم وحسن الطاعة له . وذلك يحتاج إلى ضبط النفس ، وإلى التفكير الطويل ، واليقظة التامة ، للوصول إلى هذه المرتبة العالية ، التى وصل إليها كثير من المربين فى العالم المتمدين ، فتستعد نفوس التلاميذ لأن يغرس فيها المعلم ما شاء من التربية الصحيحة ، والخلق القويم .

والمدرس الكفء القدير يجب أن يتصل بالحياة ونواحيها ، من علم واختراع ، وثقافة وأدب ، وشئون اقتصادية ووطنية ؛ كى يكون قريبا من الحياة كل القرب ، متصلا بالعالم كل الاتصال ، وأن تتشبع روحه بالمدرسة الحديثة ، وأن يفكر دائما فى الدرس

الجديد ، وإعداده إعداداً مستمرا . سئل مرة أحد المربين : لماذا تعد دروسك كل يوم قبل أن تقوم بتعليمها ؟ فأجاب : إنى أود ألا يشرب تلاميذى إلا من منبع جديد ، ومن ماء عذب ، لا من ماء راكد .

كيف يستعمل منهج الدراسة ؟

نريد أن تترك الحرية للمدرسين فى اختيار الطريقة التى هدتهم إليها تجاربهم فى التعليم ، مع مراعاة الأصول العامة المتفق عليها فى التربية والتعليم . ويجب ألا ننسى أن المنهاج قد وضع للمدرس والمدرسة والتلميذ ، ولم يوضع المدرس للمنهاج ، فينبغى أن تترك له الحرية ليضيف إلى المنهاج دروساً لها صلة بالبيئة المدرسية ، وأن يجعل المنهاج مناسبا لرغبات التلاميذ ، وأن يختار ما يلائمهم من غير الكتب المقررة : حتى يغرس فيهم حب القراءة والاطلاع ، وينمى فيهم الميول الطيبة ، والخلق المتين ، والعقل الراجح .

وغرضنا قبل كل شىء أن نلمس روح الإخلاص والصدق فى عمل الأساتذة كعهدنا بهم ، وأن لا يعبثوا كثيراً بالمظاهر والشكليات ؛ فاستفادة التلاميذ مما يقرءونه أو يكتبونه ، ورسوخه في أذهانهم أهم ما يقصد إليه المربون . ومن المؤكد أن حضرات

المفتشين إنما ينظرون إلى الأعمال الشفهية والتحريرية على مقياس استفادة التلاميذ منها ، فلا يجهل التلاميذ ما درسوه منها كأن لم يكتبوه بأيديهم ، ولم يعوه بعقولهم . وإن الأعمال الشفهية والتحريرية تمثل خطوطاً تصاعدية لأعمال الأساتذة من أول السنة المدرسية إلى نهايتها . وذلك معيار الاستفادة الصحيحة . ونسوق فيما يلي بعض التجارب لخير الطرق الحديثة فى تعليم اللغة العربية والدين والخط والقصة .

الغرض من تدريس اللغة العربية :

يجب أن يكون الغرض من تدريس اللغة العربية القدرة على القراءة الصحيحة ، وحسن الكتابة ، والتعبير الخالى من الخطأ ، وتوسيع ثقافة التلاميذ ، وتعويدهم حب الاطلاع . ولكى نصل إلى هذا الغرض يلزمنا أن نربط فروع اللغة العربية بعضها ببعض : كى يكتسب المتعلم ذوقا عربيا ، وميلا إلى اللغة القومية ، وأن تكون الغاية من دراسة اللغة العربية دراسة مايتصل بحياة الأمة من نواحيها المختلفة .

١ – المطالعـــة

الغرض من دروس المطالعة تعويد التلاميذ النطق الصحيح ، والقراءة الخالية من اللحن ، وتزويدهم بمـا تضمنته دروس المطالعة من المفردات والأساليب والمعانى التى توسع مداركهم ، وتقوى أذهانهم .

ويحسن أن يكلف المدرس تلاميذه قراءة الدرس المعـين للحصة فى المنزل كلمـا تيسر ذلك . ويبدأ درس المطالعة الجهرية بإلقاء ضوء على معنى القطعة قبل قراءتها ، وإذا كان فى الدرس صورة لفت نظرهم إليها ، وسألهم أسئلة فيما تضمنته الصورة أو ما سيقت لأجله ؛ فإن ذلك يقرب التلاميذ من فهم روح الدرس ، ويجعلهم يأنسون إليه .

يقرأ المدرس القطعة كلها إن كانت قصة ، أو بعضها فى دروس الأوصاف التى يمكن أن ينفصل عنها بعض أجزائها عن بعض ، قراءة نموذجية مرة أو مرتين ، بحسب ما يرى من حال التلاميذ قوة أو ضعفا ، ثم يكلف أحد التلاميذ الذين يتوسم فيهم النجابة قراءتها ، ثم يقسم القطعة إلى فقرات مناسبة لأسنان التلاميذ قلة أو كثرة ؛ حتى يطالع أكبر عدد ممكن فى الحصة الواحدة ، ويناقش

تلاميذه فى معانى الكلمات الصعبة بوضعها فى جملها إن أمكن أو فى غير جملها ، ثم يكتبها على السبورة . ولا داعى لسؤالهم فى كلمات بدهية ، ثم يعود فيكلف التلاميذ القراءة حتى يصلوا إلى الإجادة ، ثم ينتقل إلى فقرة أخرى وهكذا ، وبعد ذلك يكلف بعض التلاميذ قراءة القطعة جملة ، ويلخص معناها بأسلوب عربى صحيح قبل نهاية الحصة ، أو فى المنزل كتابة .

ويلزم أن تدون فى كراسة التحضير أسئلة فيما احتوت عليه القصة من الأغراض ، ليسأل فيها التلاميذ قبل نهاية الحصة ، شفويا مرة ، وتحريريا مرة أخرى ، بحسب ما يراه الأساتذة .

ومن المفيد أن يعنى المدرس بالقراءة السرية أو الصامتة : حتى يتدرج التلاميذ على فهم ما يقرءون ، ويحتاج هذا النوع من المطالعة إلى التطبيق بوضع أسئلة مباشرة مرة ، وغير مباشرة أخرى : لتحمل التلاميذ على التفكير . ويستطيع الأستاذ أن يمرن تلاميذه على هذه القراءة السرية فى موضوع كامل من موضوعات حصة المطالعة أو جزء منها .

وهناك مسألة هامة هى إصلاح خطأ التلاميذ فى أثناء القراءة ؛ فإن طرق التربية تتطلب أن يسألهم المدرس إصلاح خطأ القارئ

منهم ، وذلك يفيدهم أكثر من أن يقوم الأستاذ به ، فلا يلجأ إلى الإصلاح بنفسه إلا عند عجز التلاميذ ، وأن يؤجل الإصلاح إلى نهاية مطالعة الفقرة : حتى لا تقطع سلسلة القراءة .

ويجب أن تكون القراءة واضحة وعلى مهل ، وأن يكون صوتهم طبيعيا غير متكلف ، وألا يعمدوا إلى الصياح عند النطق بالألفاظ .

ومما يلفت النظر ضعف التلاميذ فى التعبير ، وعدم استيفاء المعنى ، فيحسن تمرينهم على شرح المعانى الإجمالية ، والاستفادة من المعاجم التى فى ذيل كتب المطالعة ؛ فإن ذلك يزيد محصولهم اللغوى . أما الإلقاء الحسن من التلاميذ ، وتمثيل المعنى ، وصحة الأداء ، فهو صورة بارزة لعناية المدرس بدرس المطالعة .

ولا مانع من السؤال فى الإعراب السهل عند الفرص المناسبة ، على ألا يطغى ذلك على درس المطالعة .

وإذا أمكننا أن نبث فى النشء حب المطالعة والقراءة فى المدرسة وخارجها فى أوقات الفراغ فقد قمنا بعمل جليل ، وخدمة كبيرة للأمة من الناحية الثقافية .

كيف نرغب الشبان فى القراءة والمطالعة ؟

يذهب الطفل إلى المدرسة الابتدائية فلا يجد من يشوقه إلى القراءة فى المنزل أو المدرسة ، ثم يلحق بالمدرسة الثانوية وينتهى منها وهو لا يستطيع أن يقرأ رسالة من غير أن يخطئ . ولا عجب ؛ فإنه لم يشجع على القراءة والاطلاع ، ولم يجد فيهما لذة . وإذا لحق بمدرسة عالية كانت كل آماله أن ينتهى من المدرسة ، ومن الدراسة ؛ لأنه يعمل للامتحان ، ولا يفكر إلا فيه ، فلم نبث فى نفسه الرغبة فى العلم ، وحب العلم للعلم . فإذا نجح ونال شهادته العالية حاول أن يجد لنفسه وظيفة يرتزق منها ، فإذا تحققت غايته قضى أوقات عمله فى مكتبه ، فإذا ما انتهت ساعات العمل خرج يقضى أوقات فراغه فى المقاهى والملاهى ، حيث يلهو ويقتل الوقت كما يقولون .

ولكن من نلوم ؟ إننا نلوم المدرسة وأساليب التعليم التى نتبعها فى تدريسنا ، ونحملها تبعة انصراف الشباب إلى اللهو والركود العلمى ، وقلة الاطلاع ، وعدم الانتفاع بأوقات الفراغ .
ولا نبالغ إذا قلنا إن الغرض الغرض الجوهرى من التربية والتعليم هو ترغيب الطالب فى القراءة والاطلاع ، ومعرفة

الطريقة التى بها يصل إلى المادة التى يريدها . ولا يشك أحد فى أن الكتب خير غذاء للعقل ، وخير وسيلة لكسب العلوم والمعارف .

وفى معظم المدارس القديمة لدينا مكتبة خاصة ، بها كثير من الكتب ، ولكنها لا تجد من يقرؤها : فالتلميذ لا يشجع على الاستعارة والقراءة فى أى مرحلة من مراحل التعليم . فلا عجب إذا نفر من الكتب ، وباع ما لديه منها بعد انتهائه من الحياة المدرسية . والمدرس لا يستعير منها فى الغالب إلا الكتب الدراسية .

وفى المكتبات كتب ومجلات ، ولكن الطلبة لا يعرفون عنها شيئا ، ولا ينتفعون بها : لأن أيديهم لا تصل إليها ؛ فالكتبة والمدرسون المشرفون على المكتبات فى المدارس يأخذون الكتب ويسجلونها فى دفتر المكتبة ، ولا يشجعون التلاميذ على الاستعارة . ولا يفكر المدرس فى البحث عن الكتب الجديدة ، وإخبار الطلبة بها ، وحثهم على استعارتها ، وتشويقهم إلى قراءتها . لا يفكر فى أخذهم إلى المكتبة ، وتشجيعهم على الاطلاع ، وتفهيمهم طريقة البحث ولو ساعة كل أسبوع .

إننا لا نعد المدرسة ناجحة فى عملها أو قائمة بواجبها — ولو حصلت على نتيجة مائة فى المائة فى جميع امتحاناتها — إلا إذا بثت فى نفوس تلاميذها حب القراءة والاطلاع . فإذا

استطاعت الوصول إلى تحقيق تلك الغاية فقد وفقت فى عملها كل التوفيق ، وخرجت شبانا يدأبون فى القراءة بعد الانتهاء من المدرسة ، فتزداد معلوماتهم ، وتتسع مداركهم ، وتكثر تجاربهم .

وإننا نرجو أن يأتى اليوم الذى فيه يتسابق الطلاب إلى المكتبات المدرسية ، ودور الكتب العامة : حتى لا يجد المتأخر فى الحضور مكانا يجلس فيه .

ولكى يتيسر البحث والاطلاع يجب أن تكون المكتبة فى أوسع حجرة بالمدرسة ، وأن يكون بها مقاعد ومكاتب مريحة كافية ليستطيع الطلبة استعمالها ، وإعداد بعض الدروس فيها ، والاطلاع على ما يريدونه من الكتب تحت إشراف أحد مدرسى المدرسة .

وإن التلميذ الفقير لا يجد فى بيته من الكتب ما يشجعه على القراءة ، أو ما يحبب إليه الاطلاع . ولذا يجب على المدرسة أن أن تمد الفقراء من التلاميذ بمايحتاجون إليه من الكتب ، وتعلمهم كيف يستعملونها ، وكيف يبحثون عن الحقيقة فيها ، وكيف ينتفعون بما فيها من ألفاظ وعبارات وأفكار .

ومن المؤلم أن نقول إن القراءة تكاد تكون معدومة بين معظم المتعلمين وأنصاف المتعلمين من المصريين . ولا نبالغ إذا قلنا إنها لا تتعدى الصحف اليومية ، والمجلات الهزلية . فإذا أمكننا أن نبث

فى نفوس الشباب حب القراءة فى الترام والقطار والسيارة فى أوقات الفراغ قمنا بعمل نافع ، وخدمة جليلة للأمة من الناحية الثقافية . فليس من واجب المدرسة أن تحبب القراءة إلى المتعلمين فحسب ، بل من واجبها أن تعودهم القراءة ، وحسن اختيار الكتب التى يقرءونها .

وحبذا الأمر لو أنشئت خزانة للكتب فى كل فصل من فصول المدرسة ، يقوم بتنظيمها طالب ينتخبه طلبة الفصل من بينهم تحت إرشاد المدرس ، بحيث يكون فيها كثير من الكتب الدراسية وغيرها للمطالعة الحرة ، يقرأ منها الطالب ما شاء ، ويستعير ما يريد لمدة معينة . وعلى المدرس أن يسأل عن عدد الكتب المستعارة ، وعمن استعار من الطلبة ، ومن لم يستعر ، ويسأل الطلبة الذين لم يستعيروا عن السبب فى عدم الاستعارة ، ويحثهم عليها وعلى القراءة فى الخارج فى أوقات الفراغ ، بحيث يقرأ الطالب كتابين على الأقل كل شهر ، فيقرأ فى السنة المدرسية كثيرا من الكتب والمجلات الأدبية والعلمية والاجتماعية . ولكى يتأكد من قراءتهم فى الخارج يمكنه أن يختبرهم شفويا أو كتابيا فيما قرءوه .

وإذا بعثنا فى نفوس الطلبة حب البحث فى المدرسة ، وفتحنا

الطريق أمامهم كان من السهل أن يتمموا بحوثهم ، ويستزيدوا من من العلم بعد ترك الدراسة .

وهنا يمكننا أن نفخر بأننا نجحنا فى عملنا المدرسى ، وأدينا رسالتنا التعليمية .

ولا نبالغ إذا قلنا إن مجموع ما يقرأ فى السنوات الدراسية بالمدارس المصرية لايزيد على الكتب المقررة . ولو كان المدرس حريصاً على منفعة تلاميذه لحبب إليهم المطالعة ، وشجعهم على القراءة فى الخارج ؛ حتى تزداد ثروتهم اللغوية والفكرية ، ويعتادوا حب الاطلاع . فالأساليب المتبعة فى تدريس المطالعة عقيمة ، لا تحبب القراءة إلى التلاميذ ؛ فإنها لا تخرج عن تكرار آلى لفقر خاصة طول الحصة بطرق مملة . ولا يعد المدرس ناجحاً فى مهنته إلا إذا عود تلاميذه حب الاطلاع بتشجيعهم على القراءة فى المدرسة وخارجها ، والانتفاع بما فى مكتبة التلميذ من الكتب .

وينبغى أن يعنى المدرس بالقراءة الجهرية فى بعض الحصص ، والسرية فى بعضها الآخر .

ومن الواجب أن تزود مكتبات المدارس الجديدة والقديمة بالكتب العربية الصالحة ، والكتب القصصية ، وتختار لها مجموعة كبيرة متنوعة من الكتب الملائمة للشبان ، التى تستميلهم ، وتجتذب

عقولهم ، من كتب البطولة والوطنية ، والقصص الأدبية والعلمية ، والخلقية والاجتماعية ، الشرقية والغربية .

ويجب أن يكون كل كتاب مدرسى فى كل مادة من المواد سهل اللغة والعبارة ، خالياً من الخطأ والتعقيد اللفظى والمعنوى ؛ كى ينتفع الطلبة بالقراءة فى أثناء دراسة المواد الأخرى ، ولا يجدوا صعوبة فى الفهم والإدراك .

ويجب أن يكون فى مكتبة المدرسة مع الكتب المقررة كثير من الكتب الإضافية للمطالعة الحرة ؛ كى نرغب التلاميذ فى القراءة الحرة ، ونشوقهم إلى الأدب . وليس هناك ما يمنع من قراءة الموضوع الواحد فى كتابين مختلفين ، أو فى كتب مختلفة ؛ لتشجيعهم على البحث والاطلاع .

ولا يفوتنا أن نشجع المدرسين على أن يختاروا ويقدموا لتلاميذهم بعض المقالات التى تنال إعجابهم فى أثناء قراءتهم للصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية أو الشهرية ، التى يجدها التلميذ فى بيته مع أبيه أو أخيه .

ولكى نشجع المدرسين على العناية بحصص المكتبة ونشعرهم بأنهم مسئولون عنها ينبغى أن تعد فى جداولهم من الحصص الأساسية التي يقومون بتدريسها .

ويحسن أن يشجع الطلبة على اختيار بعض الموضوعات من الصحف أو المجلات التى يقرءونها ، إذا كانت ملائمة متصلة بدراستهم . وفى استطاعتنا أن نعود الطلبة حسن اختيار الكتب التى تغذى عقولهم ، وتهذب خيالهم ، وتصقل لغتهم ، وتشبع رغباتهم وأذواقهم . ونرجو أن يكوّن الطالب لنفسه مكتبة صغيرة بالتدريج إذا بثثنا فى نفسه الرغبة فى القراءة الحرة . وعلى المدرس أن يرشد طلبته إلى ما ينبغى أن يقرءوا من كتب الأدب والأخلاق والوطنية ، والبطولة ، والتربية والاجتماع ، والعلم والفن .

ولا يشك أحد أن الأدب السهل للطلبة روح الحياة الغالية التى يجب أن نحافظ عليها إلى الأبد . ومن الأمور التى يجب أن نفكر فيها ونعمل للوصول إليها جعل الطلبة فى المنازل يعيشون فى عالم أدبى ، وهو عالم الكتب . فالكتب وراثة ورثناها عن الأجيال السابقة ، ومن الواجب أن نقدمها إلى الجيل الحاضر ، ونعلم هذا الجيل حسن القراءة ، وحب الاطلاع ، وتذوق الأدب : حتى إذا أعطينا الطالب كتاباً أمكنه أن يميز غثه من سمينه ، وقبيحه من حسنه ، ويختار منه أحسن الشعر ، وأروع النثر .

ولكى نرغب الشبان فى المطالعة الحرة يجب أن تكون المكتبة فى أحسن مكان بالمدرسة ، وأن تزود بكل كتاب مشوق

يجتذب الطالب للقراءة ، فلا يتركه حتى ينتهى منه . ولا تجعل أوقات المكتبات فى فسحة الظهر حيث يكون الطالب مجهداً ، وفى حاجة إلى الراحة بعد حصص الصباح ، ويكون الذهن راكداً ، كما يجب أن يشجع الطلبة على الاستعارة والقراءة الحرة فى أوقات فراغهم : حتى يعتادوا حب الاطلاع ، وتكون القراءة عادة لهم .

ونرجو مخلصين أن يأتى اليوم الذى يعمم فيه التعليم إلى مستوى كبير ، وتعم فيه الثقافة بين أفراد الشعب فى المدن والريف : حتى نجد مكتبة فى كل بيت من البيوت الغنية والفقيرة ، الرفيعة والوضيعة ، ونجد للدولة داراً للكتب فى كل قرية للقراءة والإعارة .

٢ — المحادثة

ليست المحادثة إلا إنشاء شفويا فى أولى درجاته : فالفرق بينهما فى الدرجة لا فى النوع . والغرض من المحادثة العمل على نقل التلاميذ من المستوى العامى الذى يعيشون فيه إلى النطق العربى السهل ، وتزويدهم بمادة لغوية ملائمة لأسنانهم ومداركهم : كى تعينهم على التعبير الصحيح ، وتشحذ أذهانهم ، وتنظم أفكارهم .

فيجب أن يجتهد المدرس أن تكون عبارة التلاميذ واضحة

صحيحة ، خالية من الخطأ ، ويعنى بالتعبير أكثر من عنايته بعذوبة الأسلوب ، وجمال اللغة ، ويختار من الموضوعات ما يتصل بحياتهم وتجاربهم ، وبيئتهم المدرسية والمنزلية ، ورحلاتهم وألعابهم ، أو يتصل بما يدرسونه فى التاريخ أو الجغرافية ، أو مبادئ العلوم والصحة ، وما يقرءونه فى دروس المطالعة ؛ فيتحدث التلاميذ فى حصة عن قصة من القصص ، أو موضوع من الموضوعات المألوفة ، أو عن رحلتهم إلى الهرم ، أو لعبة الكرة ، أو رواية شاهدوها فى الخيالة ، أو ما فعلوه يوم الجمعة أو يوم العطلة ، ويكتبون فى الحصة الأخرى ما تحدثوا عنه فى الحصة الأولى .

وينبغى أن يعطى التلميذ الفرصة للتعبير عما فى نفسه من الأفكار ، ويشجع على التكلم والتحدث عما يدور فى خلده بقدر الاستطاعة ؛ حتى يعتاد الكلام السهل ، والمحادثة الصحيحة ، بغير خوف أو تردد . وليس من الصواب أن يعتمد المدرس على نفسه أكثر من اعتماده على تلميذه ، فيتكلم هو ويتجاهل التلميذ ، ولا يجد التلميذ الفرصة الكافية للتكلم .

وبالمطالعة والمحفوظات والقصص والأناشيد والمحادثة ترقى لغة التلميذ بالتدريج ، وينتقل من اللغة العامية التى كان يتحدث بها

فى المنزل إلى اللغة العربية السهلة إذا وجد من المدرس تشجيعاً على المحادثة والتعبير بلسانه .

ولتشجيع الأطفال على الكلام يجب أن تكون إحدى الحصص للمحادثة الحرة ، بحيث يتكلم التلميذ عن أى شيء يختاره ، وأى حادثة حدثت له ، وأى خبر يذكره ، ويقص أى حكاية يأتى بها ، ويأخذ كل تلميذ دوره فى التحدث عما لديه من الأخبار ، وما جرى له يوم الجمعة ، وما شاهده فى حديقة السمك أو الحيوان : حتى يتسابق التلاميذ فى ذكر الحوادث والأخبار والقصص .

وبهذه الوسيلة نشجعهم على المحادثة الشفوية ، والتعبير الشفوى عما يجول بخاطرهم من الأفكار . وبالتدريج نستطيع أن نصقل ألسنتهم ، ونعودهم التعبير الصحيح ، والتكلم بلغة سهلة خالية من الخطأ .

وليس من الضرورى فى المحادثة الحرة التقيد بموضوع من الموضوعات طول الحصة . ولا مانع من الانتقال من حديث إلى آخر ، ومن قصة إلى أخرى . وينبغى تشجيع التلاميذ على الأسئلة والنقد ، فيسأل التلميذ زميله ما يشاء ، ويجيبه الآخر عن سؤاله ، ويعلق على حديثه بما يريد .

طريقة المحادثة الجيدة :

١ — أن تختار الموضوعات بحيث تكون مشوقة ملائمة لمدارك التلاميذ .

٢ — أن ينتقى المدرس الألفاظ والعبارات التى تلائم قدرة تلاميذه .

٣ — أن يؤتى بكل وسائل الإيضاح التى تساعد على نجاح الدرس . وتستعمل بحكمة وروية .

٤ — أن تقيد الجمل الرئيسة على السبورة ، بحيث تكون من إملاء التلاميذ بقدر المستطاع .

٥ — فى نهاية الدرس يسألهم المدرس أسئلة تستدعى سرد جمل متصل بعضها ببعض .

٦ — والتعبير فى السنة الأولى يجب أن يكون شفويا فى النصف الأول من السنة ، وفى النصف الثانى يعبر التلاميذ كتابة بجمل قصيرة إجابة عن أسئلة توجه إليهم . وفى السنة الثانية يتدرج بهم من الجمل القصيرة إلى جمل أطول حتى ينتهى بهم إلى كتابة بضعة أسطر تصلح بعد ذلك أن تكون موضوعاً قصيراً .

ويجب أن يلتزم المدرس التكلم باللغة العربية السهلة ليشجع

التلاميذ على محاكاته فى صحة العبارات والجمل . وإذا ورد فى الدرس بعض كلمات عامية لزم إبدالها بما يقابلها من العربية ، ووضعها فى جمل مفيدة ؛ حتى تثبت فى أذهانهم . ويجب الإكثار من الأسئلة التى تبيح الفرص لإطالة الجواب ؛ وتنويع الإجابة ، وأن تربط موضوعات المطالعة والمحفوظات والإملاء بالمحادثة كلما أمكن ذلك .

ولا بد من شرح حقائق الأشياء للتلاميذ أولاً ، ثم الإتيان بالأمور العرضية ثانياً ؛ حتى تتسع معلومات التلاميذ ، ويعتادوا البحث ، فتكون المحادثة سبيلا إلى الإنشاء الصحيح ، ولايخرجوا عن الموضوع فيما يستقبلهم من دروس الإنشاء ، أو يعنوا بما لايهم ، ويتركوا العناصر الأصلية التى يتألف منها الموضوع .

ومن المعروف للمدرسين أن التلاميذ أقرب إلى الطفولة ، وينبغى ألا يكلفوهم مالاطاقة لهم به مما يكون عديم الجدوى .

وهناك فجوة واسعة بين المحادثة فى السنتين الأولى والثانية ، والإنشاء فى الثالثة من المدارس الابتدائية . وعلاج ذلك بتمرين التلاميذ فى السنة الثانية على ربط الجمل المكونة للموضوع ، وتكليفهم كتابة أسطر معدودة فى موضوعات معينة ، أو ذكر قصة أمامهم وتكريرها حتى يستطيعوا كتابتها .

٣ — الإنشاء

الغرض من الإنشاء إقدار التلاميذ على التعبير عما فى نفوسهم بعبارة عربية صحيحة ، وتوسيع دائرتهم الفكرية ، وتزويدهم بكثير من مفردات اللغة وأساليبها ، وتعويدهم التفكير المنطقى ، وترتيب الأفكار ، وربط بعضها ببعض ، وتجنب الحشو والتطويل والاستطراد من غير مقتض : فذلك يعد من عيوب الكتابة والحديث .

والإنشاء الصحيح يعود التلاميذ الفصاحة ، وذلاقة اللسان ، وحسن الإلقاء ، وتمثيل المعنى . وهو الذى يكفل التعبير عن الآراء الكامنة فى النفس ، لا رصف الألفاظ ، واستعمال الجمل التى لا تدل على معنى محدود ، أو التطويل من غير فائدة .

وفى السنتين الثالثة والرابعة من المدارس الابتدائية يجرى الأسلوب الإنشائى فى مرحلتين :

(ا) مرحلة المساءلة لاستنباط عناصر الموضوع وتنظيمها ، والتحقق من وضوحها فى أذهان التلاميذ ، وتدوينها على السبورة .

(ب) مرحلة التدريب على الكلام بتكليف التلاميذ التعبير عن كل عنصر من العناصر المدونة ، على أن يزودهم المدرس خلال

ذلك بما يساعدهم على التعبير من ألفاظ وعبارات : فيكون ذلك فى خلال كلامهم وبقدر معين : حتى يكون النصيب الأوفر مما على السبورة من إملاء التلاميذ .

ومن البدهى أن لحسن اختيار الموضوع أعظم نصيب فى نجاح الدرس ، وحسن اختيار المدرس لموضوع الإنشاء دليل على لطف ذوقه ، وعمق تفكيره فيما يناسب تلاميذه : حتى يجذب الموضوع أذهان التلاميذ جذباً ، ويحملهم على توفيته . وهناك تتجلى مواهبهم ، فيتمكن الأساتذة من فهم كل تلميذ على حدته ، ويعالجون أخطاءه فى الفكر والأسلوب .

ويشمل الموضوع ابتكار القصص ، وكتابة الرسائل فى الأغراض المختلفة ، ومشاهد الطبيعة من جبال وبحار وأنهار ، وأحوال الناس فى مصر وغيرها ، وأعمالهم فى الحياة ، وسير الأبطال ، ووصف الوقائع التاريخية ، والحوادث الاجتماعية .

وبعض الأساتذة يغلو فى إطالة العناصر ، والإكثار من الجمل المختارة ، فتضعف شخصية التلاميذ ، ويكادون يتقاربون بدءاً ونهاية فى الموضوع الواحد . وليس هذا الغلو من الصواب . ومن المصلحة أن يناقش المدرس تلاميذه مناقشة ترمى إلى تكوين العناصر فى

أذهانهم ؛ حتى يتكلموا بلغتهم . وعليه أن يضبط غير المضبوط ، أو يصلح ما أخطئوا فى ضبطه ، أو يرتب العبارة .

أما تدوين العناصر فى كراسة الإنشاء فمتروك لتقدير المدرسين حسب الموضوعات ، وأهمية الآراء والأفكار ، مع عدم الإسراف فى ذلك . وعند تزويدهم بالمفردات والأساليب ينبغى البعد عن الزخارف التى من أثرها فقدان التناسق بين عبارات التلاميذ وما يتخللها من أساليب المدرس .

وينبغى أن يكون بعض موضوعات الإنشاء متصلا بدروس المطالعة والمحفوظات والإملاء ، وأن يكون لبعضها صلة بمبادئ العلوم المقررة ، كما ينبغى أن يداول المدرس بين الموضوعات المشروحة وغير المشروحة ؛ ففى بعض الموضوعات يترك التلاميذ أحراراً فى الكتابة عن الموضوع الذى يطلب إليهم الكتابة فيه ؛ فلا يسبق بشرح ، ولا تفرض عليهم أفكار معينة ، ولا عناصر محدودة ، ولا يزودون بشىء من الجمل والأساليب المختارة ، ليستخدموها فى موضوعهم . وواضح من هذا أن يكون الموضوع التحريرى غير الموضوع الذى تحدثوا فيه شفويا . ومزية هذه الطريقة أنها تظهر لنا شخصية التلميذ بوضوح ، وتدلنا على مواطن الضعف فى أسلوبه وتفكيره ، فنستطيع أن نعالجها ، وأن ننمى فيه قدرة الابتكار

والتجديد فى الأساليب . ومن الممكن أن يعد المدرس عدداً من الموضوعات الإنشائية يختار منها التلاميذ ما يناسبهم ، أو يترك لهم الحرية ليكتبوا مايشاءون من الموضوعات .

إصلاح كراسات الإنشاء :

لقد اعتاد المدرسون أن يجمعوا كراسات الإنشاء ، ويقوموا بإصلاحها خارج الفصل ، ويردوها إلى التلاميذ بعد الانتهاء من إصلاحها . فينظر التلميذ إلى الدرجة التى نالها ، وربما لا يعير أخطاءه اللغوية والإملائية والنحوية والفكرية أى التفاتة . ولا فائدة من إصلاح كهذا للتلميذ ؛ فلا عجب إذا تكرر خطؤه فى الموضوعات التالية . ولكى يستفيد التلميذ من هذا الإصلاح يجب أن يقوم هو بإصلاح الخطأ حتى يعرف الصواب .

وفى ظننا أن الطريقة المثلى لذلك أن يصلح المدرس الأساليب وبعض الكلمات التى يجهلها التلاميذ ، ويضع إشارة تحت الأخطاء الأخرى التى يمكن أن يصلحها التلميذ من نفسه ، فإن كان الخطأ إملائياً (م) وإن كان نحوياً (ن) ، وإن كان فى اللغة (ل) ، فإذا أُعيدت الكراسات قل عناء المدرس فى توجيه كل تلميذ إلى خطئه .

والمهم لدينا أن يعرف كل تلميذ خطأه أيا كان نوعه ، ويعرف صواب هذا الخطأ ويكرره فى الصفحة المقابلة ، على أن تعاد الكلمة

فى جملتها ؛ حتى لا يقع فى خطأ نحوى آخر : فصواب الأخطاء الإملائية يكرر عدة مرات ، وصواب الغلطات اللغوية والنحوية يعاد ، والأفكار الصحيحة تعاد كذلك فى صيغتها الصحيحة فى السطور المقابلة لها . ومن الممكن الانتفاع بحصص الإنشاء الشفوى لإرشاد كل تلميذ إلى خطئه ، وشرح الأخطاء العامة .

ومن المفيد أن يكون بيد كل مدرس كراسة أو مفكرة يدون فيها أهم الأخطاء التى وقع فيها التلاميذ . وقبل أن يبدأ المدرس فى موضوع جديد يجب أن يكون قد اطمأن على الانتهاء من إصلاح الموضوع السابق لكل تلميذ .

٤ — الإملاء

الغرض من الإملاء إقدار التلاميذ على كتابة اللغة العربية كتابة صحيحة خالية من الخطأ ، ولها فوائد أخرى منها تقوية الملاحظة ، وتعويد النظام ، وتكوين الذوق ، فينبغى أن تعد قطعة الإملاء قبل الحصة بحيث تشتمل على ما يفيد التلاميذ إملاء ومعنى وأسلوباً ، وأن تمت إلى البيئة والحوادث الاجتماعية بصلة حتى تساعد على الإنشاء ، وأن تكون خالية من التكلف : حتى تكون مقبولة مستساغة ، فتصلح أن تكون نماذج إنشائية يقرؤها

التلاميذ فى بعض حصص المطالعة ، وأن تكون كل قطعة قائمة بذاتها فلا تجزأ أجزاء .

وتذيل الأمالى أحياناً بكلمات إملائية فى جمل قصيرة تقصد بها قاعدة معينة من القواعد الإملائية المقررة ، وفى الألفاظ المتجانسة مثل يحيا (ياء ألف) ويحي (العلَم) يجب وضع الكلمة فى جملة . وللوصول للإملاء الصحيح يجب أن يراعى ما يأتى :

يؤمر التلاميذ بالجلسة الصحية ؛ لكى يتعودوها فى أعمالهم الكتابية ، ولا بأس من الإملاء المنظور للسنتين الأولى والثانية فى بعض الدروس ، وغير المنظور للسنتين الثالثة والرابعة مع التنبيه إلى علامات الترقيم ، فالمنظور يتبع فيه ما يأتى : —

١ — الإتيان بمقدمة موصلة إلى موضوع الدرس ، مشوقة إليه ، وإلقاء ضوء على معنى القطعة .

٢ — يقرؤها المدرس قراءة جيدة سواء أكانت على السبورة أم فى كتاب المطالعة .

٣ — يناقش التلاميذ فى معانى الكلمات الصعبة ، وتدون على السبورة من الجهة اليمنى .

٤ — يطالب التلاميذ بتهجية الكلمات الصعبة ، ثم تدون على الجهة اليسرى من السبورة ، ويدعو المدرس التلاميذ إلى ملاحظتها جيداً ثم يمحوها .

٥ — يطالبهم بنقل هذه القطعة ، وفائدة هذه الطريقة أنهم يستعملون فيها حاسة العين والأذن واليد .

أما غير المنظور فيتبع فيه ما يأتى :—

١ — قراءة القطعة كما قدمنا .

٢ — المناقشة فى معانى الكلمات الصعبة وتكتب فى الجهة اليمنى من السبورة .

٣ — المطالبة بهجاء بعض الكلمات ، ثم تدوينها فى الجهة اليسرى ومحوها .

٤ — تملى القطعة تركيباً تركيباً مرة واحدة : حتى يتعود التلاميذ قوة الملاحظة .

٥ — تلقى القطعة بعد الإملاء حتى يكتب كل تلميذ ما فاته .

ويجب على المدرس ألا يألو جهداً فى حمل التلاميذ على شدة الاهتمام بتحسين خطهم ، وعدم تجاوز السطور المرسومة فى الكراسات ، كما يراعى أن يكون حجم الكتابة ملائماً لأسنان التلاميذ .

إصلاح كراسات الإملاء :

لإصلاح كراسات الإملاء طرق مختلفة نذكر بعضها ؛ حتى يداول الأستاذ بينها بحسب ما تقتضيه حالة التلاميذ :

(ا) أن يقوم التلميذ بإصلاح خطئه ، وذلك يعوده الاعتماد على النفس ، والاعتراف بالخطأ . وفى استطاعة المدرس أن يكتب القطعة على سبورة إضافية فى الخارج ، أو يأمر التلاميذ بمقابلة القطعة على كتاب المطالعة إن كانت منه ، ويشركهم فى الإصلاح بأن يسير معهم فى القطعة سطراً سطراً ، فإذا وجد التلميذ خطأ وضع تحته خطا أفقيا بالقلم الرصاص والمسطرة ، ثم كتب الصواب . ولما كان التلميذ قد يخطئ فى هذا العمل أو لا ينتبه إلى ما أخطأ فيه يلزم المدرس أن يجمع الكراسات ليراجعها حتى يكون الإصلاح كاملا . و يجب ألا يصحح بالقلم الأحمر الجزء من الكلمة الذى أخطأ فيه التلميذ ، بل يصلح الكلمة كلها .

(ب) أن يقوم المدرس بإصلاح الكراسات خارج الحصة ، ثم يعيدها للتلاميذ ، ويأمرهم بكتابة الصواب قبل الدرس الجديد ويراجعه .

ومهما يكن من شىء يجب أن يصرف الجزء الباقى من الحصة فى الإملاء ؛ كمناقشتهم فيما تجمع عند الدرس من الأخطاء السابقة ، ثم يكتب الهجاء الصحيح على السبورة . ويحسن أن تخصص صفحات فى آخر الكراسة لذلك .

وقد يتكرر خطأ التلاميذ فيما أخطئوا فيه من قبل ، فيجب

تكرار السؤال فيما فات من حين لآخر . وعلى المدرس أن يعد واجباً إملائيا لمن لم يخطئ من التلاميذ . ولا يفوتنا أن نبين أن بعض الضعف فى الإملاء راجع إلى أن بعض المدرسين كثيراً ما يكتفون بإملاء القطعة ، ثم يشغلون بقية الوقت بالقواعد أو المطالعة أو غير ذلك من الدروس . وقد وضح أن المصلحة تقتضى أن تكون حصة الإملاء للإملاء وحده . ويجب أن يفهم التلميذ سبب الخطأ ، ويعرف الصواب ، ويكرره عدة مرات ؛ حتى لا يقع فى الخطأ مرة أخرى .

٥ — تكوين الجمل

الغرض من تكوين الجمل بالسنة الثانية شيئان :

الأول : ضبط أواخر الكلمات ، ومعرفة سبب الضبط فيما سهل وأمكن أن يكون فى متناول التلاميذ .

والثانى : المساعدة فى صحة الأداء والتعبير الصحيح فى بقية مواد اللغة العربية .

فى دروس تكوين الجمل ينبغى اتباع ما يأتى :

١ — أن تتبع فى التعليم الطريقة الاستنباطية بأن يكتب المدرس على السبورة ما لا يقل عن أربع جمل ليستنبط منها القاعدة المراد تعليمها . وليس من الضرورى أن تكون القاعدة وافية بالغرض كل الوفاء ، بل المهم أن تكون صحيحة .

٢ — يكلف التلاميذ إنشاء جمل مناسبة ، لها فائدة حيوية ، بدل الأمثلة المعروفة الدائرة حول المدرسة والتلميذ ، والدرج والمعلم ، وعقاب التلميذ أو مكافأته ؛ فقدأصبحت هذه الأمثلة بالية ، وهكذا كلما تعلم التلميذ قاعدة طالبه المدرس بإيراد أمثلة عليها .

ومن المستحسن فى هذا الصدد أن يكلف التلاميذ البحث فى كتب المطالعة المقررة عن الأمثلة المطلوبة من دروس ينتخبها المدرس لهذا الغرض .

٣ — أن يحرص الأساتذة كل الحرص على التكلم باللغة الفصحى السهلة التى يمكن أن يفهمها التلاميذ : فإن القدوة تفعل ما لا يفعله الإرشاد القولى .

ويشكو بعض الأساتذة من الفجوة التى بين تكوين الجمل فى السنة الثانية والقواعد فى السنة الثالثة ، ويظهر أن ذلك راجع إلى قلة تمرين التلاميذ على هذه القواعد الأساسية . ولو تيسر استخدامها كثيراً فى المحادثة خاصة والمطالعة والمحفوظات لثبتت القواعد فى أذهان التلاميذ ، ولهان الأمر ، بل نحن نوصى بالمزج بقدر المستطاع بين حصتى تكوين الجمل والمحادثة ، وأن يكثر المدرسون من الأمثلة والتنويع فيها ؛ وبخاصة الأمثلة الإيجادية ، وعقد الموازنات بين المرفوع والمنصوب والمجرور فى جمل متنوعة .

٦ ــ القواعد والتطبيق

الغرض من تدريسها الإحاطة بالقواعد التى تعصم التلاميذ من الخطأ فى الكلام والقراءة والكتابة ، وتمكينهم من تحليل الأسلوب العربى ، ومعرفة ارتباط الكلمات والجمل بعضها ببعض ، وشحذ ملاحظة التلاميذ اللغوية .

طريقة التدريس :

١ ــ أن يمهد المدرس للتلاميذ تمهيدا يذكرهم بدروسهم السابقة .

٢ ــ أن تعرض مجموعة من الأمثلة الطريفة المستمدة من بيئة التلميذ ، أو تنتزع هذه الأمثلة من التلاميذ أنفسهم فى أثناء الدرس بإيحاء المعلم .

٣ ــ تدون الأمثلة على السبورة ويوجه التلاميذ إلى ملاحظة ما فيها من الخصائص المشتركة .

٤ ــ يسأل التلاميذ فى جمع هذه الخصائص المشتركة ، وصوغها قاعدة تدون على السبورة .

٥ ــ يؤتى بتطبيق شائق مفيد يبعث التلاميذ على التفكير ، والاستفادة مما فيه من مادة لغوية ونحوية ومعنوية .

والحق أن هذه المادة اختبار عملى لقدرة المدرس وما يبذل من مجهود ، فلا يزال كثير من المتعلمين المصريين يلحنون ويخطئون فى ضبط أواخر الكلمات ، حتى بعد إتمام الدراسة العالية ، وذلك ما نأسف له أشد الأسف .

وفى ظننا أن مرحلة التعليم الابتدائى كفيلة بصحة الإعراب وضبط الجمل : بمضاعفة العمل ، وبذل أقصى المستطاع فى إصلاح الأخطاء شفويا وتحريريا ، وشدة مراقبة التلاميذ فى ذلك ، بشرح القواعد المقررة شرحا وافيا بالتطبيق عليها ؛ حتى ترسخ فى أذهان التلاميذ ، وأن يعنى بتفهيم الأدوات التى يتضمنها بعض الأبواب من أمثال النواسخ وأدوات النصب والجزم .

وقد تكون الجملة صحيحة من ناحية القواعد فاسدة من ناحية المعنى ؛ وذلك يتطلب التمرين على الجمل الصحيحة المعنى ، فلا يفهم التلاميذ أن الغرض من الأمثلة التطبيق على القواعد فحسب ؛ إذ من الواجب أن تتجنب الأمثلة التى لا تؤدى غرضاً حيويا من مثل : قام محمد ، وكتب محمود الدرس ، وفتح على الدرج ؛ وأن ينبه الأساتذة فى دروس المطالعة والإنشاء والمحفوظات إلى الأخطاء الشائعة فى ألسنة المتكلمين بتكرار لفت أنظارهم إلى صحة الأداء ، مع المحافظة على جوهر الدروس من مطالعة أو غيرها ،

وأن يكثروا من التطبيق الشفوى على كل قاعدة ، وأن يكون لكل درس تطبيق تحريرى خاص ، ثم يؤتى بتطبيق عام مع التطبيقات الخاصة .

ومن المستحسن أن يدرب الأساتذة تلاميذهم على الأمثلة التكوينية السهلة ، البعيدة عن الألغاز ، وأن يكثروا من الإعراب الإجمالى ، وإيراد أمثلة أدبية من الشعر أو النثر لشرحها وإعراب شىء منها ، وخاصة فى السنة الرابعة . ومن الحسن جدا أن يكون ذلك الإعراب لما فهموه وقرءوه من مقرر المحفوظات نثراً أو شعرا.

وإذا أخطأ كثير من التلاميذ فى التطبيق فهو دليل على أنهم لم يفهموا القاعدة حق الفهم . ومن الواجب شرح القاعدة مرة أخرى . ورجاؤنا أن تكون التطبيقات فى الكراسة من عمل التلميذ ، فهى حقله الذى خصص لتجاربه ، لا صورة لما قد ينقل من السبورة . فلا يسرف المدرسون فى مساعدة التلاميذ : فإن هذا يضعف فيهم الاعتماد على أنفسهم ، ويحرمهم التفكير ، فتضطرب إجاباتهم فى الامتحانات .

إصلاح التطبيق :

المهم أن يشرك المدرس التلميذ فى إصلاح الخطأ ، ومعرفة الصواب ، وعند كتابة الصواب لا تكتب الكلمة التى أخطأ فيها

وحدها بل مع الجملة ، فإذا أخطأ فى الفعل مثلا ناقشه فيه ، وفى نوعه ، وما حدث له .

وإذا نظرنا إلى كراسة التلاميذ وجدنا التمرينات متنوعة والكراسات مصححة ، ولكن الإنسان يلحظ بعد ذلك الرجوع إلى نفس الخطأ السابق ، ولا سبب لذلك إلا عدم فهم التلميذ خطأه وسببه . ولا قيمة لعمل تحريرى لا يفيد إرشاد التلاميذ إلى الصواب ، ويكفل تقدمهم فى التطبيق على القواعد .

٧ — القصة

والغرض من تدريس القصة تمرين الحافظة والذاكرة ، وتجرىء التلاميذ على الكلام ، مع صحة الأسلوب ، وتوسيع مداركهم فى فهم الحياة الاجتماعية والخلقية : بأسلوب جذاب يشوقهم ، ويستدعى انتباههم .

طريقة التدريس :

١ — انتخاب حكاية سهلة قصيرة مشوقة .

٢ — إلقاؤها على التلاميذ بلغة مناسبة لهم أقرب إلى الصحة العربية ، مع تمثيل المعنى والتأنى . وإذا لم يفهموا بعضها يعاد بتغيير

العبارة ، حتى لا يحفظ التلاميذ الألفاظ نفسها فيعيدوها بغير فهم ، وبغير محاولة الإتيان بعبارات من كلامهم .

٣ — إلقاء أسئلة فيما اشتملت عليه الحكاية ، وكلما أجابوا عن نقطة وصححت أخطاؤهم كتبت جملها على السبورة ، حتى تبنى الحكاية بهذه الطريقة .

٤ — تراجع الحكاية كلها ثم تحجب السبورة ، ويسأل التلاميذ سردها حتى يتمرنوا على سرد الجمل المتصلة .

٥ — يكتبون الحكايات فى كراساتهم ، وتصحح لهم الكراسات خارج حجرة الدراسة .

٦ — متى تدربوا على ذلك يكتفى بإخبارهم بالحكاية ، ثم يكتبونها فى كراساتهم مباشرة .

٧ — الحكايات المنظومة السهلة مفيدة فى هذا الباب ؛ لأنها تساعد على أن يأخذ التلاميذ منها المعنى دون التركيب .

الحكايات المصورة :

فى هذا النوع من القصص يكون التلميذ منشئا مخترعا لتراكيب حقيقية ، وهذه الطريقة مفيدة ومشوقة فى آن واحد ، وتمرن قوى الملاحظة والتفكير والتعبير .

وعلى المدرس أن يسير فيها كما يأتى : —

١ — يؤتى بصور تمثل وقائع حكاية ، وكل صورة توضح جزءاً معيناً .

٢ — تعرض الصورة الأولى وتخفى بقية الصور ، ثم يسأل التلاميذ الفحص عن الصورة ، والتعبير عما يرونه فيها ، مع المناقشة فى خطأ الفهم والتعبير وتصحيحهما ، ويكتب ما يصادف التلاميذ من تعبيرات أو كلمات صعبة على السبورة ، ثم يملى التلاميذ ما يستخلص من الصورة بعد تهذيبه ليكتبه المدرس على السبورة .

٣ — تخفى الصورة الأولى ، وتعرض الثانية ويسير المدرس سيره السابق وهكذا ؛ حتى تنتهى الحكاية ، وتكتب ملخصة على السبورة ، ثم تنقل فى الكراسات .

٤ — إذا تقدم التلاميذ يكفى أن يعرض المدرس الصور بالطريقة السابقة ، ويناقشهم بدون كتابة الحكاية على السبورة ، ثم يأمرهم بكتابة الحكاية فى الكراسات .

ومما يساعد على تعلم اللغة العربية فى المرحلة الأولى من مراحل التعليم العناية بقصص الطفولة ، والقصص الشعبية ، والحكايات الخيالية ، وأناشيد الطفولة ، فتكرار الأناشيد واستماع القصص وحفظ شعر الطفولة وإلقاؤه ، كل هذه تساعد الطفل على تذوق اللغة العربية ، وتزوده بكثير من الألفاظ والعبارات . وليس

هناك ما يمنع من وجود كلمة صعبة فى القصة أو القطعة الشعرية إذا كان من الممكن فهمها من سياق الكلام .

وليس من الحكمة عند إلقاء القصة أن نقطع تفكير التلاميذ ، ونحرمهم لذة الحكاية بتركها جانباً ، والإكثار من شرح الكلمات الصعبة التى تعرض فيها ، فإذا أحسن المدرس اختيار القصة ، واختيار النشيد استطاع أن يتجنب قطع سلسلة التفكير على التلاميذ ، وأمكنه أن يفكر فى الذوق الأدبى ، وفى شعر الطفولة ، وقصص الطفولة ، بحيث يختار ما يلائم الصغار من الأطفال .

ويجب أن يتذكر المدرس أن الأطفال يقدرون بفطرتهم جمال الطبيعة ، وجمال الموسيقا ، وجمال اللغة ، فيجب أن نحسن اختيار كل ما نلقيه عليهم فى اللغة والأسلوب والفكرة ، والنغم الموسيقى .

وحينما يسمع الأطفال القصة أو النشيد يحسن أن نطلب منهم إعادة النشيد الذى سمعوه ، والقصة التى سمعوها ، بحيث تكرر القطعة أو القصة مراراً حتى تصقل ألسنة التلاميذ ، وتزداد معرفتهم باللغة . وفى البدء سيعيدون النشيد كما هو ، وسيعيدون القصة كما هى : وفى الإعادة تمرين للسان على الكلام والإلقاء والتمثيل بأشكال مختلفة .

والأطفال بفطرتهم يحبون التمثيل حبا جما ، لهذا يجب أن ننتفع بهذا الميل الفطرى ، ونشجع الأطفال الصغار على تمثيل الروايات القصيرة ذات الفصل الواحد ، حتى نشجعهم على حسن التعبير والإلقاء فى هذه المرحلة الأولى من مراحل التعليم .

وبالأغانى والأناشيد والروايات التمثيلية يمكننا صقل ألسنة التلاميذ ، وتزويدهم بثروة لغوية ، والانتقال بهم من اللغة العامية إلى اللغة العربية الصحيحة .

وفى الوقت الذى يلقى فيه الأطفال ما حفظوه من الأناشيد والأغانى ويعيدون فيه ما سمعوه وما فهموه من القصص ينبغى أن يراعى المدرس الدقة التامة فى حسن النطق ووضوحه ، وحسن الإلقاء والتمثيل ، حتى يعتادوا حسن التعبير والإلقاء بنغمة موسيقية تمثيلية . فالتلميذ فى هذه المرحلة يحاكى المدرس فى إلقائه وتمثيله ، قصداً وعن غير قصد ، فهو يلقى كما يسمع ، ويحاكى التمثيل الذى يعجب به ، ويعيد الصوت الذى يتأثر به .

٨ – المحفوظات

الغرض من المحفوظات تزويد التلاميذ بالثروة اللفظية ، وتكوين الذوق الأدبي فيهم ، وتعويدهم الجرأة والطلاقة في التعبير وحسن الأداء والتمثيل ، فيختار من القطع النثرية والنظمية ما يناسب مدارك التلاميذ أسلوبا ومعنى . وقبل أن تعرض القطعة على التلاميذ يشوقون إليها بذكر كلمة موجزة عنها ، سواء أكانت القطعة من كتب المطالعة أم من دواوين الشعراء ، أم من نظم المدرس ، إن كان قادراً على نظم الشعر الجيد الجدير بالحفظ . ويجب أن تكون الأبحر التي نظمت عليها القصائد قصيرة سهلة . ويحسن أن يتضمن بعض القطع شيئاً من المناظرات والمحاورات ، وأن تحفظ القطع القصيرة دفعة واحدة من غير تجزئة ؛ فإن هذه الطريقة أسهل في الحفظ ، وأكثر توفيراً للوقت ، وأدعى إلى معرفة المعنى من غير أن تقطع سلسلة الأفكار على التلاميذ . ولا تجزأ القطعة إلا إذا كانت طويلة ؛ فيقرأ المدرس القطعة مرة أو مرتين قراءة نموذجية ، ثم يكلف أحد التلاميذ الذين عرفوا بالنجابة وحسن الإلقاء قراءتها بعده ، مع ملاحظة أن التحفيظ لا يكون إلا بعد فهم المفردات والعبارات ، والأبيات التي تحتاج إلى شرح فهماً

تاما . وعند كتابة الكلمات الصعبة على السبورة يحسن أن يكتب معناها من نقاش التلاميذ ، على أن تشرح فى جملة تامة لا كلمات مفردة ؛ حتى تتحقق الفائدة .

ويحسن أن يكون الحفظ فى الحصة للتلاميذ الصغار بعد قراءة القطعة مرات كافية ، مع النطق الصحيح ، وجودة الإلقاء .

وجدير بالمدرسين أن يعنوا بحسن الاختيار والإلقاء والتمثيل عنايتهم بالحفظ ، وتفهيم المعنى . ولا بأس أن تكون بعض فقر من القطع النثرية المستقلة المعنى ، وبعض أبيات من القطع النظمية أمثلة فى التطبيق على القواعد ، وأن يعنى بنثر الأبيات التى تتضمن مختلف الأساليب والمعانى فى كراسة الإنشاء ؛ فإن ذلك ذخيرة للتلاميذ ، ومدد لأساليبهم وأفكارهم ، على أن يكون ذلك بقدر محدود ، وخاصة فى السنة الرابعة ، وأن يشترك مدرس الفصل مع مدرس الأناشيد فى اختيار قطع الأناشيد ، وإصلاح نطقها قبل إيقاعها .

وفى المحفوظات القرآنية ينتهز المدرسون الفرصة لتزويد التلاميذ بما تشتمل عليه الآيات الكريمة من أغراض سامية ، وأساليب بليغة على قدر ما تسمح به الطاقة مع جودة التلاوة التى توافق مع صحة التجويد .

اختيار النصوص :

إن لحسن اختيار النصوص الشعرية أثراً فى دراسة الشعر فى المدارس الثانوية ، فالطلبة يحبون الشعر ، ويجدون لذة فى قراءته واستماعه ، لما فيه من أوزان موسيقية ، ومعان رائعة شعرية ، وننتظر منهم فى هذه المرحلة فهم مايقرءون وما يحفظون من الشعر وتحليله ، ومعرفة ما تحمله القطعة من معان وأساليب . ولا ننتظر من تلاميذ المدارس الابتدائية فهم كل شىء تحمله قطعة المحفوظات الشعرية أو النثرية .

وتختلف محفوظات المدارس الابتدائية عن محفوظات المدارس الثانوية : فتلاميذ المدارس الابتدائية أطفال يحتاجون إلى شعر الطفولة السهل ، وإلى الأناشيد العذبة التى يجدون لذة فى استماعها وإلقائها ، وقدرة على فهمها . أما طلبة المدارس الثانوية فأكثر نضجا ، وأقدر على الفهم وإدراك العبارات والأفكار ، ويميلون إلى قراءة شعر الحماسة والشجاعة ، والبطولة والوطنية ، والشعر العاطفى ، شعر الرثاء والغزل . وتختلف أذواقهم وميولهم عن أذواق الأطفال وميولهم .

وإذا كان البيت مثقفاً ، والبيئة الاجتماعية راقية ، وكان المدرس ماهراً استطعنا بهذه العوامل أن نرغب الشباب فى دراسة

الشعر ، وتذوق الأدب ، أما إذا كان البيت بعيداً عن الثقافة ، وكانت البيئة جاهلة ، وكان المدرس خاملا — كان من الصعب أن يجد الشباب الفرصة فى تذوق الأدب وحبه ؛ فللبيت والبيئة والمدرس أثر كبير فى نجاح الدراسة الأدبية أو إخفاقها .

وقد يتناول أحد المدرسين قصيدة لشوقى أو حافظ ليدرسها مع طلبته ، فيريهم مافيها من حياة وجمال شعرى وموسيقى ، وجمال فى العبارة أو الفكرة ، فيحبونها ويتذوقونها ، ويعجبون بها ، ويتسابقون فى تحليلها وحفظها . وقد يتناول مدرس آخر هذه القصيدة نفسها مع تلاميذه فيميتها بضعفه وكسله بعد حياتها ، فينفر منها التلاميذ ، ولا يجدون لذة فى دراستها .

ومن الخطأ أن نختار مجموعة من النثر أو الشعر ونفرضها على تلاميذ المدارس الثانوية أو الابتدائية جميعاً ظانين أنها ملائمة لهم . ومن المستحسن أن نترك للمدرس الحرية فى أن يختار لتلاميذه من القطع الملائمة ما يتصل بحياتهم ، ويلائم مداركهم وميولهم ، وأذواقهم ورغباتهم ، فهو متصل بهم كل الاتصال ، ويعرف ما يحتاجون إليه وما يناسبهم .

ولكى نطمئن على حسن اختيار المدرس يجب أن نتدخل لنرى ما اختاره لتلاميذه ؛ فإن كان حسنا شجعناه ، وإن كان قبيحا

رفضناه في اختيار ؛ النثر الركيك والشعر الردىء إضاعة لأوقات التلاميذ فى دروس المحفوظات . وقد ينشأ عن سوء الاختيار كراهية اللغة العربية ، نثرها وشعرها . وقد تستمر هذه الكراهية مدى الحياة .

ولا ضرورة تدعو إلى مطالبة التلاميذ جميعا بحفظ قطعة واحدة من الشعر أو النثر ، فهم مختلفون فى ميولهم ورغباتهم وأذواقهم . فليحفظ كل منهم ما شاء أن يحفظ . ويجب أن نعطيهم فرصا كثيرة فى أن يسمعوا كثيرا من القطع النثرية والشعرية ، وأن يقرءوا كثيرا من النصوص ، ويدرسوها ويفهموها ؛ ليختاروا منها ما أعجبوا به لحفظه واستظهاره . وينبغى أن نحثهم على قراءة القطع الأدبية ودراستها فى البيت والمدرسة كلما سنحت الفرصة ، وأن نشجعهم على أن يعد كل طالب بنفسه لنفسه مجموعة يدونها ويدرسها ، ويجمعها ويحفظها .

ويجب أن نعطى الطلبة الفرصة فى إلقاء ما درسوه وما حفظوه من الشعر أو النثر أمام زملائهم فى الفصل ، ونسمح لإخوانهم بنقدهم فى الإلقاء والتمثيل ، وسؤالهم عما يريدون من الأسئلة . . .

وفى استطاعة المدرس أن يختار فى بعض المناسبات قطعا من الصحف والمجلات ليقرأها أمام تلاميذه إذا كانت فى مستواهم ؛

ليشجعهم على البحث فى كل جديد ، واقتناء ما يحسن اقتناؤه من الكتب أو الدواوين : حتى لا يقتصروا على ما بأيديهم من الكتب .

ولكى نغرس فيهم الذوق الأدبى ونهذب قوة الحكم لديهم ينبغى أن يناقشهم المدرس فيما يدرسون من الشعر أو النثر ؛ ليدركوا الفرق بين أسلوب النثر وأسلوب الشعر ، والفرق بين هذه القصيدة وتلك فى الوزن والقافية والأفكار ، وليلاحظوا ما فى القطعة من جمال فى العبارة ، أو جمال فى الأسلوب ، أو سموّ فى الفكرة ، ويعرض عليهم من حين لآخر قطعتين من النثر أو الشعر قيلتا فى موضوع واحد لاثنين من الكتاب أو الشعراء : ليوازن الطلبة بين القطعتين أو القصيدتين فى اللغة والأسلوب والفكرة والجمال ، وليدرسوا شعر الشعراء ، وكتابة الأدباء .

وحينما يتقدم الطلبة فى دراستهم يمكنهم الحكم على الجيد أو الردىء من الشعر أو النثر ، ويمكنهم أن يختاروا أحسن النثر وأحسن الشعر .. وربما لا يستطيعون أن يذكروا الأسباب التى بنوا عليها حكمهم واختيارهم ، وتفضيلهم لهذه القطعة على تلك .

ومن الخطأ أن نكثر التدخل فيما يقرءون ، ونفرض عليهم ما يدرسون وما يحفظون من النثر أو الشعر . فلكى تسير أذواقهم

سيرها الطبيعى ولا نتعبهما بما نفرضه عليهم يجب أن نترك لهم الفرصة فى أن يختار كل منهم ما يشاء من القطع ، على حسب ما يهديه ذوقه وميله ورغبته .

ويجب ألا ننسى الانتفاع بما لدى التلاميذ من مواهب شعرية ، وتشجيعهم على قول الشعر كلما أتت الفرصة ، ومساعدتهم وتذليل الصعاب أمامهم ، وإرشادهم عند الحاجة ، وتمرينهم على قول الشعر ، حتى يتكون لدينا عدد كبير من الشعراء الموهوبين ، الشعراء بالفطرة والسليقة . فإذا شعر المدرس بأن لدى بعض الطلبة ميولا شعرية وجب عليه أن يشجع هذه الميول حتى تنمو وتظهر ، وتربى فيهم ملكة النقد ، وملكة الشعر .

وهناك مدرسون أدباء حاولوا تشجيع الموهوبين من الطلبة على قول الشعر ، ونجحوا فى محاولتهم ، فكان من بين تلاميذهم شعراء يجيدون الشعر ، ويقدرون ما فيه من روعة وجمال .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الأدب فن يحتاج إلى كثير من القراءة والذوق والتمرين والتشجيع كبقية الفنون . وإننا ننتظر أن يكون كل مدرس للغة العربية أديباً يتذوق الأدب ؛ حتى يستطيع أن يؤدى رسالته فى تربية الأدباء الذين يقدرون الأدب شعره ونثره ، ويميزون الحسن من القبيح ، ويضعون كل شىء

موضعه ، ويحكمون حكماً سديداً على ما يرونه أو يسمعونه من الشعر أو النثر .

شرح المحفوظات والنصوص :

فى المدارس الابتدائية لا يحتاج المدرس إلى التعمق فى الشرح والتفصيل ، أما فى المدارس الثانوية فالتلاميذ كبار يستطيعون أن يدركوا هذا التعبير ، وذاك الشرح ، وأن يجدوا لذة فيما يقرءون ، ويفهموا ما يذكر لهم من شرح لكلمات صعبة ، أو عبارات غامضة . وسيدرك الطلبة أن هناك كتباً سهلة ، وموضوعات سهلة يمكن أن تقرأ وتفهم بسرعة ، وأن هناك كتباً صعبة تحتاج إلى كثير من التفكير والتحقيق ، والشرح والتحليل ، والبطء والتفكير العميق . فالكتب لا يمكن أن تقرأ بطريقة واحدة ؛ فالسهل منها يمكن أن يقرأ بسرعة مع الدقة والفهم ، والصعب يمكن أن يقرأ ببطء حتى يفهم .

٩ ــ فى دراسة الأدب

تحتاج دراسة الأدب والنصوص إلى شرح وفهم وتحليل . ويجب أن تنال كل عناية من المدرس والطالب . وقد تتطلب مراجع للبحث عن هذا البيت أو هذه العبارة ، وتستدعى تفكيراً

لمعرفة ما فيها من أساليب ومجاز وتشبيه ، واستعارة وكناية . . .
وقد يقضى المدرس حصة ليدرس مع تلاميذه أربعة أبيات من الشعر ، أو أربعة أسطر من النثر . وليس هذا الوقت بضائع . وليس المدرس فى حاجة إلى الخوف من هذا النوع من الدراسة ؛ فهى دراسة بطيئة ، ولكنها عميقة مثمرة ، تمكن الطلبة من فهم النصوص ، وتمييز الغث من السمين ، والشعور بما فى القطعة من جمال فى الأسلوب ، وجمال فى الفكرة .

وقد يُعترض بأن هذه الدراسة البطيئة العميقة تزيل ما فى القصيدة من جمال . وجوابنا على هذا الاعتراض أن الجمال باق ، وأن التحليل أظهر ما فيها من جمال ، إن كان هناك جمال ، وأظهر ما فيها من ركاكة ، إن كانت هناك ركاكة . فاللغة لا تحمل أفكاراً عارية مجردة ، ولكنها تحمل أسلوبا وأفكارا ، ووجدانا وعاطفة ، وذوقا وشعورا وخيالا . فإذا لم يدرك الطالب الأفكار التى تحملها اللغة فإنه لا يستطيع أن يقدر ما فى هذه اللغة من جمال . فإذا أردنا الوصول إلى جمال اللغة وجب أن نصل إلى معرفة الفكرة التى تحملها القطعة الأدبية .

وإننا ننتظر من مدرس الأدب — وهو مدرس اللغة العربية — أن يرفع مستوى الذوق الأدبى بين تلاميذه ، وأن يبث فى نفوسهم

ميلا إلى الكتب الأدبية ، وقراءتها والانتفاع بها ، وتخصيص بعض أوقات فراغهم لدراستها . ولا يمكننا أن نقول إن مدرس اللغة العربية أدى رسالته إلا إذا بث فى نفوس طلبته حب الأدب ، وكوّن لديهم ذوقا أدبيا لقضاء أوقات فراغهم فى دراسة الكتب الأدبية الثمينة ، وقراءة أى نوع مختار من أنواع الكتب التى يميلون إليها . وإن ترك الطالب المدرسة وليس لديه ميل خاص نحو أى نوع من أنواع الكتب دليل على أن مدرس اللغة العربية لم يحبب إليه اللغة العربية ، ولم يبث فى نفسه حب الكتب ودراستها . فلا عجب إذا قضى بعض الطلبة أوقات فراغهم فى قراءة الصحف الهزلية ، وروايات العشق والغرام ، والحب والانتحار ، وهى بعيدة كل البعد عن الأدب العربى ، والأدب برىء منها . فواجب المدرس أن يقدم إلى تلاميذه فى الوقت الملائم كتبا تتصل بحياتهم ، ويجدون لذة فى قراءتها ، ويعرفهم فوائد الكتب ، ويرغبهم فيها .

اللغة وسيلة من وسائل التعبير

إن خير وسيلة لتثقيف عقول التلاميذ قراءة مختارات لأحسن الكتاب والأدباء والشعراء ؛ فمن النصوص الأدبية سيجدون أفكاراً عذبة بأسلوب عذب ، أثرت فى نفوس الكثيرين من الأجيال الماضية ، وستؤثر فى نفوس كثيرين من الأجيال المقبلة ،

وسيكتب لها الدوام والخلود ، ما دام فى الكون من يفكر ويفهم ، ويقدر الذوق الأدبى ، والبراعة الفنية . ولا ريب أن اللغة أعظم وسيلة للتعبير عن شخصية الكاتب أو الشاعر ، وتصوير آرائه وأفكاره ومثله العليا التى تؤثر فى نفوس القراء . فاللغة وسيلة من وسائل التعبير ، كما أن الموسيقا والتصوير والحفر من وسائل التعبير الفنى والجمالى . فالموسيقى يعبر بنغماته عما يشعر به ، والمصور يعبر بقلمه وريشته عما يتخيله أو يراه من الجمال فى منظر من المناظر ، والحفار يعبر عما يراه وما يتصوره بالتماثيل ، وما يكسوها به من سمات وملامح ، وكذلك الكاتب أو الشاعر ، يستطيع أن يعبر باللغة عما يشعر به ، وما يفكر فيه ، وما يرمى إليه ، بأسلوب عذب ، وعبارة رائعة ، وتصوير خلاب . ولكى تدرك ما فى أسلوب غيرك من روعة وجمال يجب أن تكون كاتباً بليغاً ، قادراً على التعبير والشعور بالجمال .

فالقدرة على التعبير تحتاج إلى مهارة ، واستعداد فطرى ، وإلى تهذيب وتربية . وهذا هو الغرض الذى يجب أن تهدف المدرسة إليه . فالمدرسة مطالبة بأن تبعث الذوق الأدبى فى نفوس التلاميذ ، بحيث يستطيعون التعبير عما فى نفوسهم من الآراء والأفكار ، بعبارة عذبة جميلة . وكما يكون التعبير اللغوى شفويا

يكون كتابيا ، ولذلك وجب علينا بجانب العناية بالخطابة أن نعنى بالوصول إلى إجادة الكتابة ؛ حتى يكون الطالب فى المستقبل كاتباً بارعاً ، كما يكون خطيباً مفوها ، وبذلك تكون الدراسة الأدبية مثمرة أطيب الثمر ، نافعة للطالب أكبر النفع .

غلطات يمكن تجنبها فى دراسة الأدب

هناك غلطات معينة فى دراسة الأدب يمكننا أن نتجنبها ، منها : التكلم عن الكاتب والشاعر وتاريخ حياته ونشأته ، والتكلم عن أسلوبه الشعرى أو النثرى قبل أن يدرس الطلبة قصائده ودواوينه ، وخطبه ورسائله ومقاماته . فالوقت الذى ننتظر أن يقضى فى قراءة سارة مشوقة لبعض القصائد والخطب ، والرسائل والمقامات مع التلاميذ ؛ حتى يجدوا لذة من دراسة هذا الشاعر أو هذا الكاتب ، ونولد لديهم رغبة وشوقا لدراسة حياته والأحوال التى أحاطت به وهو يكتب شعره أو نثره — نضيعه فى التكلم عن حياة المؤلف فى وقت لا يجدون فيه رغبة فى معرفة هذه الحياة ، أو نقضيه فى التكلم عن كتب لم يدرسها الطلبة ، ولم يطلعوا عليها ، ولم يشوقوا إلى قراءتها .

وهناك غلطة أخرى فى دراسة الأدب هى تقرير كتب على التلاميذ فوق مستواهم ، لا يستطيعون إدراكها أو فهم عبارتها

ولغتها . فعرض كتاب صعب على التلاميذ قبل أن يستطيعوا فهمه وهضمه يؤدى إلى كراهة هذا الكتاب كراهة أبدية ، وقد يكون من الكتب الثمينة . والسبب فى هذه الكراهية عرضه قبل الوقت الملائم . فالشعر الجاهلى والنثر الجاهلى — مع ما فيهما من الجمال فى كثير من القطع الشعرية والنثرية — لا يصلحان للدراسة فى المدارس الابتدائية مثلا : لأنهما فوق مستوى التلاميذ . وليس معنى هذا أن كل شعر أو نثر قديم صعب ، أو أن كل شعر أو نثر حديث سهل : فقد تجد سهولة فى الشعر أو النثر القديم ، وقد تجد صعوبة فى الشعر أو النثر الحديث . فهناك شعر حديث لشوقى وحافظ ونثر حديث للشيخ محمد عبده والمنفلوطى . وليس فى استطاعة التلاميذ أن يفهموا هذا الشعر أو ذاك النثر إلا إذا كان المدرس ماهراً فى الشرح والعرض والتوضيح .

فصغار التلاميذ يميلون إلى الشعر السهل العذب ، والنثر السهل الجميل ، ولا يقدرون القطع الصعبة مهما تكن جميلة الأسلوب ، أو جميلة الفكرة .

والمدرس الماهر يستطيع بحكمته أن يعرف ما يلائم التلاميذ وما لا يلائمهم ، ويدرك النقط التى تحتاج إلى شرح ، والتى تفهم بسهولة ، وما يحسن أخذه ، وما يحسن تركه من القطعة .

وقد يتناول أحد المدرسين قطعة من القطع ليدرسها مع التلاميذ فيكسبها حياة، ويقدر التلاميذ مافيها من جمال، ويرغبون فى حفظها، وقد يتناول هذه القطعة نفسها مدرس آخر فيميتها، وينفر التلاميذ منها، ولايودون دراستها: لأن المدرس قد أضاع مافيها من حياة. وقد يتناول المدرس كتابا مع تلاميذه فيشوقهم إليه، ويرغبهم فيه، ويشعرهم بما فيه من حياة. وقد يأخذ مدرس آخر هذا الكتاب نفسه فيقضى عليه، ويبغضه التلاميذ، ولا يقرؤه أحد منهم.

فدروس الأدب والمطالعة دروس مثمرة فى يد المدرس الأديب الماهر الساحر الذى يقدر الذوق الأدبى، ووقتها ضائع فى يد مدرس خامل لا يتذوق الأدب، ولا يشعر بجمال الشعر. فالأدب وجماله، والذوق الأدبى، وأسلوب الأدباء، والبلاغة وأسلوبها، والفصاحة وأسلوبها لا يقدرها إلا مدرس أديب.

وينبغى أن نفكر فيما يلائم التلاميذ، فلا تكون القطع المختارة فوق مستواهم، وأن نبث فى نفوسهم حب الأدب والرغبة فيه، والذوق الأدبى، ونجتهد ألا تكون الدراسة سطحية بحيث يفهم التلاميذ القطعة التى يدرسونها تمام الفهم، ويحللونها تحليلا دقيقا، ويقدرون لغتها وأسلوبها وأفكارها.

١٠ — الدين

الغرض من دروس الدين غرس الشعور الديني فى نفوس التلاميذ ؛ ليكون ذلك خير عاصم لهم من الانحراف فى السلوك ، وتزويدهم بثقافة دينية مستمدة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وعمل المسلمين ، وما فى الإسلام من فضائل .

طريقة تدريس القرآن الكريم :

١ — يمهد المدرس بمساءلة التلاميذ مساءلة تتناول المعنى العام للآية .

٢ — تعرض الآية إما مدونة على السبورة أو فى كتب التلاميذ .

٣ — قراءة الآية قراءة تناسب القرآن الكريم يعنى فيها بجودة النطق .

٤ — يناقش التلاميذ فى معانى المفردات الصعبة التى وردت فى الآية ، ثم فى معانى كل جزء منها حتى يفهموا المعنى المراد ، وما اشتملت عليه من عبر ومواعظ ، مع تدوين ذلك على السبورة .

٥ — قراءة الآية بعد ذلك من الأستاذ ثم التلاميذ ، ويراعى فى دروس الحديث الشريف ما يراعى فى تدريس القرآن الكريم .

تدريس التهذيب :

١ — يمهد للدرس بأسئلة تعد نفوسهم لاستقباله .

٢ — يناقشون فى مثل كثيرة مستمدة من الحياة ، ومنطوية على الفضيلة المقصودة .

٣ — من المستحسن أن تصور الفضائل بقصص تلقى على التلاميذ فى أسلوب مؤثر ، مع مناقشتهم فيما اشتملت عليه من عظات وعبر .

العبادات :

١ — تدرس فى السنة الأولى بأسلوب عملى فى المتوضأ والمصلى ، مع محادثة عملية سهلة فى أثر الصلاة والوضوء فى حياة الإنسان ، ولفت النظر إلى ما اشتمل عليه الوضوء والصلاة من أعمال .

٢ — تتخذ تجارب التلاميذ وما يعمل حولهم أساسا لتدريس بعض الفرائض الأخرى ، وبخاصة الصوم والزكاة ، وذلك أن يسألوا فيما يقوم به الناس ، ومن هذا يصل المدرس بهم إلى استنباط الأحكام الدينية .

٣ — يجب أن يعنى المدرس عناية كبيرة بمناقشة التلاميذ فى حكمة التشريع التى يستطيع التلاميذ إدراكها ، وأن يربط هذا بالحياة .

٤ — من الواجب أن تنتهي دروس العبادات بالدليل الشرعي من آيات أو أحاديث . وكذلك دروس التهذيب ، ويقصد بها إلى دعم العبادات والأخلاق والمعاملات .

ويجب أن تكون الدروس الدينية أقرب إلى القصص المراعى فيه مستوى التلاميذ من الناحيتين العقلية والعلمية .

وفي السيرة النبوية ينبغي أن يصور المدرس الحقائق بطريقة تمثيلية تولد في نفوس التلاميذ حب الاقتداء بالعظماء والأبطال من المسلمين ، وتستمد الأمثلة من بيئات التلاميذ وحياتهم بجانب القصص المختارة من التاريخ الإسلامي .

ومن المستحسن أن تربط دروس الدين بالجغرافية والعلوم الحديثة ما أمكن ذلك ، وأن يهتم حضرات المدرسين بتكوين جماعات البر والإحسان والحث عليها ، وإقامة الحفلات الدينية كمولد النبي صلى الله عليه وسلم وعيد الهجرة . والمظهر الجلي لتأثير الأساتذة أن تؤدى الصلاة في مواقيتها . ولا يفوتنا أن نذكر في التفسير والحديث وجوب ضبط الآيات والأحاديث بوضوح حتى لا يكثر الخطأ في نطقها .

١١ — الخط العربى

الغرض من دروس الخط تدريب التلاميذ على الكتابة الصحيحة فى سرعة ووضوح ، مع العناية برسم الحروف والكلمات رسماً مقبولا ، وتكوين الذوق الفنى ، وبعث الإعجاب بالخط الجميل ، والتمرين أيضاً على ضبط اليد ، والدقة فى الكتابة ، وشحذ الملاحظة وملكة النقد .

طريقة تدريس الخط العربى :

١ — يبدأ الدرس بإيضاح العقد الفنية على السبورة بخط تظهر فيه هذه الدقائق من تقوس أو ميل أو اتساع أو استقامة أو نحو ذلك ، مما تستدعيه أصول الفن .

٢ — كتابة نموذج يجمع الحروف أو الكلمات منسجما بعضها مع بعض .

٣ — تكليف التلاميذ الكتابة بعد إرشادهم إلى الجلسة الصحية ، وإمساك الأقلام ، وما إلى ذلك .

٤ — يصلح المدرس الكراسات بالمداد الأحمر بمروره بينهم.

٥ — يشرح المدرس على السبورة ما وقع فيه التلاميذ من أخطاء عامة ، ويجب مضاعفة العناية بدروس الخط وتوزيع أدواته ونماذجه ،

وإسناد تدريسه إلى المجيدين من الأساتذة للخط ، وأن يعنى فى حصصه المقررة بالشرح والإرشاد ، واستخدام السبورة ، والحكك الملون ، وتدريب التلاميذ على الكتابة المنسقة مع السرعة ، والتنبيه إلى الحروف المتشابهة كالفاء والعين ، والسين والشين ، والنون والقاف ، والعناية باستخدام علامات الترقيم ، وأن يتصل الخط بالجماعات الأخرى كجماعة الرسم والتصوير والجغرافيا والتاريخ ، حتى يكون الخط مجالا للمناقشة بين التلاميذ ، ويلحق بالفنون الجميلة الأخرى .

القسم الثاني اللغوي

المحاضرة الثالثة
العرب ولغتهم

العرب :

العرب قوم رحل موطنهم الأصلى شبه جزيرة العرب، وتحد غربا بالبحر الأحمر وجزء من الشام، وجنوبا بالمحيط الهندى، وشرقا بالمحيط الهندى والخليج الفارسى والعراق العربى، وشمالا بالجزيرة وجزء من الشام وفلسطين .

وتنقسم جزيرة العرب خمسة أقسام : وهى اليمن وتهامة والحجاز ونجد واليمامة . وقد أخذ اسم العرب من الإعراب وهو البيان . واختص العرب بالفصاحة، وانطلقت ألسنتهم بالبيان الرائع . ويقابل اسم العرب العَجم — من العُجمة — وهم من عدا العرب ، فيقال عَرَب وعُرْب كما يقال عَجَم وعُجْم . والعرب جمع مفرده عربى ، ويسمى أهل البادية منهم الأعراب ، والواحد أعرابى ، وترادف كلمة عرب كلمة بادية أو بَوادٍ ، فلا يبعد أن تكون تسميتهم عربا من إطلاق اسم المحل على الحال . ويؤيد ذلك ماقيل من أن

أولاد إسماعيل عليه السلام نشئوا بعربة أو عربات وهى ساحة فى أرض تهامة ، ثم انتقلوا إلى الحجاز [١] .

وقد اختلف العلماء فى أصل القبائل التى تسكن الآن شبه جزيرة العرب . ويرى جميع المؤرخين من العرب أن القبائل الأصلية فى بلاد العرب الشمالية من سلالة إسماعيل ، أما العرب فى الجنوب الذين سكنوا الأراضى الجبلية عدة قرون قبل ظهور أبناء إسماعيل على مسرح التاريخ فيعتقد بعض العلماء أنهم من سلالة قحطان .

فلا ريب أنهم من الساميين كأهل الشمال . ويظن آخرون أن السكان الأولين لبلاد العرب الجنوبية كانوا حاميين . ويعتقد بعض المستشرقين من الألمان أن أبناء قحطان قد امتزجوا بأبناء حام أيام العرب القدماء ، وكوّنوا شعباً واحداً .

ولا يشمل أبناء إسماعيل الذرية المباشرة له ، أى الاثنى عشر أميراً الذين ذكروا فى سفر التكوين ، فى الآية السادسة عشرة من الإصحاح الخامس والعشرين ، ولكنهم يشملون أبناء إيدوم ، وأبناء موأب ، وأبناء أمون ، وأبناء مدين ، وقبائل أخرى من أصل

---

(١) المعروف أن إسماعيل نشأ بمكة وأصهر إلى جرهم .

واحد . وقد كتبت المعاجم التى شرحت العهد القديم كثيراً عن أبناء إسماعيل ومساكنهم وآثارهم .

وقد ادعى العرب أنفسهم أن قبائل الشمال من ذرية إبراهيم عليه السلام ، ويُثبت التعصب أو البغض الجنسى القديم بين أهل اليمن وأهل معد — نظرية وجود شعبين مختلفين يسكنان شبه جزيرة العرب من قديم الزمان . ولا يزال الشعبان مختلفين حتى اليوم مع اتحادهما فى اللغة والدين . وإننا لا نفهم سبب العداوة والحقد بين أهل اليمن وأهل معد ، ولكنها عداوة ثابتة لا تقهر . ويشبه بعضهم هذه العداوة بمادتين كيميائيتين تنفجران فى الحال حينما تمس إحداهما الأخرى . ولهذا وجد دائماً أن من المستحيل على اليمنيين أن يعيشوا فى هدوء مع أهل مَعَد ، حتى فى العصور الحديثة ، يكره أهل اليمن القريبون من بيت المقدس أهل مَعَد سكان حِبْرون . وحينما يسألون عن سبب تلك الكراهة القديمة لا يجدون لديهم جواباً أكثر من أنهم كرهوهم من قديم الزمان .

وقد حدث أن دمرت مملكة دمشق بحرب مهلكة استمرت سنتين ؛ لأن مَعَدّيا أخذ فاكهة من حديقة لميني . وقد غمرت مدينة مُرْسية فى الأندلس بالدم سبع سنوات ؛ لأن معديا قطف سهواً ورقة كَرْم ليمنى .

وقد سئل يمنى بالقرب من الكعبة : لقد دعوت لأبيك فلماذا لا تدعو لأمك ؟ فأجاب اليمنى : لأمى ! ! كيف أدعو لها وقد كانت من مَعد ؟

ولا ندرى لماذا اختارها أبوه زوجا له .

وقد أسس اليمنيون قديما مملكة حمير ، تلك المملكة القوية التى استفاضت شهرتها فى التاريخ . وكان أهل اليمن من مهرة الملاحين فى البحار الشرقية ، وعلى حظ فى الصناعة والتجارة . وكانت لهم كتابة خاصة كشفت فى العصر الحاضر فى بلاد العرب الجنوبية . وكان العرب من أهل معد (أبناء إسماعيل) أكثر تبديا فى عاداتهم وأخلاقهم ، يرأسون القوافل التجارية العظيمة التى تضرب فى آفاق البر من عدن إلى مصر ، ومن بابل إلى تدمر ودمشق ، ومن وادى رَمَّة ونجد إلى العاصمة القديمة للحميريين وهى مأرب .

وقد كانت الطرق البرية التى تسلكها تلك القوافل أهم الخطوط التجارية قديما . فأهل الشمال من العرب تأثروا بمدنيّة أهل الجنوب ، واتخذ أهل الجنوب منهم لغة أهل الشمال .

استمر الحال هكذا حتى وجدت سفينة الصحراء — وهى الجمل — منافساً قويا لها فى سفن البحر ، فتأخرت تجارة القوافل

واضمحلت نهائيا : وحل الفقر بتلك البيوت العربية التى أَثْرَت من وراء هذه القوافل التجارية ، وفقدت المدن العربية القديمة التى كانت تعد مراكز لتلك التجارة أهميتها ، وضاعت شهرتها ، وتقوضت أركان العمران فيها .

ويبدو لنا أن الشعب العربى قد تكون قبل ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم بمدة ليست بالقصيرة .

بماذا عرف العرب ؟

يختلف الناس باختلاف البيئة التى يعيشون فيها ؛ فأهل القرى يختلفون عن أهل المدن ، وسكان الصحراء يخالفون سكان السواحل فى أخلاقهم ومناقبهم . وقد عرف البدو من العرب بالشجاعة ، وأكرموا كل شجاع ، ومن شجعانهم عمرو بن معد يكرب ، وعنترة بن شداد العبسى ، وعلى بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن الزبير .

واشتهرت نساء العرب بالشجاعة أيضا ، ومنهن عمرة بنت علقمة الحارثية التى رفعت لواء قريش فى غزوة أحد ، والخنساء أخت صخر ، وغيرهما من النساء . وقد كانت المرأة العربية تصحب الرجال فى ساحة القتال ، فتداوى الجرحى ، وتحمل الماء فى القرب .

ومن مناقبهم التى لا ينكرها أحد الجود والكرم ، وأشهر كرمائهم حاتم الطائى ، وهرم بن سنان ، وكعب بن أمامة الإيادى ، وخالد بن عبد الله .

وقد ضرب بهم المثل فى الوفاء ، وعزة النفس ، وحب الحرية ، وإغاثة الضعيف ، وحمى الجار ، والفروسية ، والأخذ بالثأر .

عرف العرب بإباء الضيم ، والتفاخر بالآباء والأجداد ، وكثرة الرحيل ، واتقاء العار — فقد كان العربى يئد بناته مخافة العار — والمحافظة على الأنساب فلا يدخلون فيها دخيلا . وإذا تزوج أحدهم امرأة غير عربية ، وولد له منها ولد سمى ذلك الولد هجينا ؛ أى قبيحا من الهجنة وهى القبح . وإذا تزوجت المرأة العربية رجلا غير عربى سمى ابنها مُقرِفا ؛ والإقراف أشد قبحا من الهجنة . وقد كانوا يحترمون الأشهر الحرم وهى أربعة : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم . فكان العربى منهم يقابل قاتل أخيه أو أبيه فى تلك الأشهر ، وهو يبحث عنه ليأخذ بثأره فيغمض عنه الطرف ، ولا يتعرض له بسوء .

وقد عرفوا بالفصاحة والصراحة ، والنجدة والصبر ، وحب الحرية ، ومعاقرة الخمر . والقصة التالية إن صحت كانت دليلا على حبهم للخمر ، حبا جعلهم يؤثرونها على سدانة البيت ؛ فقد باع

أبو غبشان المسلكانى مفاتيح الكعبة لقصى بن كلاب بزق من الخمر وهو سكران ، فانتقلت بسبب ذلك سدانة الكعبة من قبيلة خزاعة إلى قبيلة قريش ، وفى هذا يقول الشاعر :

باعت خزاعةُ بيتَ اللهِ إذسكرت   بزق خمر فبئست صفقةُ البادى
باعت سدانتها بالنزرِ وانصرفت   عن المقام وظل البيت والنادى

وتختلف أخلاق البدو من العرب عن أخلاق أهل الحضر منهم ؛ فالبدوى متأثر ببيئته ، ففيه الجفاء والقوة ، بخلاف الحضرى الذى تأدب بآداب المدن . وقد تأثر سكان الجزء الشرقى من بلاد العرب بالفرس فى لهجتهم وطعامهم وملبسهم ، كما تأثروا بهم فى هندسة المبانى . وكان لأفكار بلاد الهند الشرقية أثر فى بلاد العرب الجنوبية ، وبخاصة حضرموت ، للصلات التجارية التى كانت بينهما.

والعرب من الناحية الجسمية من أقوى شعوب العالم . قال « البارُون دى لارى » أحد قواد نابليون الأول : « إن العرب من الناحية الجسمية أقوى من الأوروبيين . وحواسهم قوية حادة ، وليسوا بالطوال ولا بالقصار ، وهم أقوياء الأجسام ، صورتهم ظريفة ، ولونهم أسمر ، أذكياء العقول ويفوقون غيرهم فى كثير من الأمور » .

والعربى وجهه بيضى الشكل مستدير ، وتبدو عليه النحافة .

وحواجب العرب كثة ، وعيونهم صغيرة سوداء أو عسلية ، حادة البصر ، والوجه يعبر نصفه عن الوقار ، والنصف الآخر يعبر عن الدهاء والشفقة ، ولو أنه لا يبتسم ، وأسنانهم بيضاء ، وصورتهم تمثل الرجولة ، وعضلاتهم قوية ، ويعرف شبان البدو بحسن المنظر وسواد الشعر . وفى سن الأربعين يبدو الشيب فى لحاهم ، وفى سن الخمسين يظهر عليهم كبر السن.

ويميل العرب إلى (الأرستقراطية) . وقد يكثر النزاع بينهم حول أفضلية قبيلة على أخرى ، ولا يسمح بالزواج إلا بين قبائل أو عشائر من طبقة متساوية ، ويخضع العرب عادة لأحكام رؤساء القبائل ، ولا يحتمل العربى أن يسبقه رجل أقل منه حسبا .

والعربى جندى بطبيعته ، مولع بالتفصيلات ، محب للأمور العقلية ، كثير الانفعال ، محافظ على التقاليد العربية ، يمجد الماضى ، ويتأثر بالقديم الخالد . يميل بفطرته إلى الخطابة القوية المؤثرة الموجزة ، ويغلو أحيانا فى الإطناب والتكرار والزخرف . والإيجاز الشديد خاصة من خواص الصحراء ، أما الإطناب فمن خواص أهل المدن . والعربى مولع بالخط الجميل ، ميال إلى الفنون الجميلة . وفى هذا مايدل على أن له ذوقا فنيا جميلا . وأن من السهل أن يكون حفاراً أو مصوراً أو رساما .

والعربى معروف بالأدب ، وكرم الخلق ، والنشاط ، والرجولة وحب الفخر ، والوفاء بالوعد ، ويغلب عليه الخيال ، ويبذل نفسه فى الدفاع عن العرض . لايهاجم بالليل . وهو يجتهد فى تجنب سفك الدم حينما يغلب على أمره . وللضيف عندهم حرمة ، وللجار عهد يجب الوفاء به . وهو أمين يمكّنك من أن تثق به إذا عاهدك .

والشعر العربى فى العصر الجاهلى مظهر لحياة العرب ، ومرآة صادقة لأخلاقهم ، ترى فيها الشمائل العربية التى منها الفروسية والبسالة ، والشرف والشهامة ، والوفاء فى الحب .

وكان لدى العرب القدماء قانون بأن من يسفك دم رجل فهو مدين بدمه لأسرة القتيل . ويعد قانون الأخذ بالثأر مقدساً فى كل مكان ببلاد العرب . ويكون العربى وضيعاً إذا قبل الدية وتنازل عن حقه .

وكانت العرب فى الجاهلية مختلفة الملل والنحل ؛ فكان بعضهم يعبد الأصنام ، وأشهرها سُواع ، ويَغوث ، ويعوقُ ، ونسر ، واللات ، والعزى ، ومناة . وبعضهم يدين بدين الصابئة ، وبعضهم ينكر الإله والبعث ، ويقول : « ماهىَ إلا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا ، وما يُهلِكُنا إلا الدهرُ » . ويعترف بعضهم بالإله ، وينكره بعضهم ، وهم الذين نعَى عليهم الله بقوله : « أَفَعَيِينا بالخَلْقِ الأَوَّلِ

بَلْ هُمْ فى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ » . ومنهم من تدين بدين اليهود أو النصرانية. وحينما ظهر الدين الإسلامى أسلم أهل شبه جزيرة العرب جميعا .

ويميل العرب بفطرتهم إلى الموسيقا والغناء قبل الإسلام وبعده . وكان الشعر والغناء قديما يتصلان بعضهما ببعض كل الاتصال . وقد اعتاد الشاعر من الشعراء أن يلقى شعره أو يغنى أغانيه ، أو ينشد أناشيده فى مجالس المساء ، وفى الأسواق العامة والأعياد ، وبخاصة سوق عكاظ ، حيث تقرأ المعلقات السبع . وكانت تكتب بالذهب وتعلق فى أستار الكعبة . ولم يُخَلِّف العرب الجاهليون شيئا من فن الموسيقا يدل على اشتغالهم بهذا الفن ، على الرغم مما خلَّفوه من ثروة عظيمة فى اللغة والأدب . والربابة عند العربى كالمزمار عند الإيقوسى (الأسكتلندى) . وكثيرا ما ينفخ الرعاة فى المزامير ، وتستعمل الطبلة فى أفراح الزواج والختان ، ولا يسمع الإنسان فى الصحراء كلها إلا الربابة .

يقول عنترة بن شداد : « إن غناء العرب كدوىّ الذباب حينما يكثر التمر فى الأسواق» . وقد عاش عنترة فى عصر الجاهلية ، وربما يقصد بالغناء تلك الأغانى التى يغنيها حداة الإبل ، ويعد الغناء العربى والنغمات الطويلة غريبة فى نظر الأوروبى . والموسيقا

العربية جميلة فى نظر قليل من الغربيين . وليس عند عرب الصحراء من الأغانى سوى أغانى الحب أو الحرب .

وقد أقبل ابن المقفع[1] على جماعة من أشراف العرب فسلموا عليه، فرد عليهم السلام ، ثم قال : لو مِلْتُم إلى نيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ، فَعَوَّدْتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذى تطلبونه لم تفلتوه . ومهما قضى الله لكم من شىء تنالوه ، فقبلنا وملنا ، فلما استقر بنا المكان قال لنا : أى الأمم أعقل ؟ .

فنظر بعضنا إلى بعض . فقلنا لعله أراد أصله من فارس . فقلنا فارس . فقال : ليسوا بذلك ، إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيما من الملك ، وغلبوا على كثير من الخَلْق ، ولبث فيهم عَقْد الأمر ، فما استنبطوا شيئا بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم فى نفوسهم .

قلنا : فالروم ! قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين ! قال : أصحاب تُرْفة . قلنا : فالهند ! قال : أصحاب فلسفة . قلنا : الخزر ! قال : بقر سائمة . قلنا : فقل .

---

(١) ارجع إلى كتاب بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب للسيد محمود شكرى الألوسى البغدادى ج ١ ص ١٥٨ .

قال : العرب . قال : فضحكنا .

قال : أما أنى ما أردت موافقتكم ، ولكن إذ فاتنى حظى من النسبة فلا يفوتنى حظى من المعرفة . إن العرب . . . أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويُحَسِّن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حباء الله فيهم ، وحباؤهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته فيهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال سبحانه : « إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ ، وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » . فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خسر ، ودفع الحق باللسان أكبت للجنان .

اللغة العربية

اللغة العربية هى إحدى اللغات السامية الجنوبية ، وهى العربية والحبشية ، وتسمى الجعزية .

وتنقسم اللغة العربية لهجات ، فلهجة فى الجزء الأكبر من بلاد العرب ، ولهجة سبأ فى الجنوب ، ولهجة بلاد العرب فى الشمال . وقد كشف بعض الرحالين آثاراً ونقوشاً فى بلاد الحجاز فى الشمال كتبت بحروف غير معروفة إلى الآن ، ويظهر أنها نقوش سبئية كتبت قبل عصر المسيح ، ويسمى بعضهم الكتابة السبئية الكتابة الثمودية أى كتابة ثمود ؛ لأنها وجدت فى بلاد ثمود حينما بلغت ثمود مبلغا كبيراً من القوة . وقد تحدث القرآن الكريم عن حضارة ثمود ، وما كان لهذه القبائل من نفوذ وسلطان . ويسمى بعض اللغويين هذه النقوش بلغة الصراصرة ، ويسميها آخرون الكتابة اللحيانية . ولسوء الحظ كانت الكتابة التى عثر عليها قليلة مختصرة ، لا يحصل منها العالم اللغوى إلا على مادة قليلة جدا ، ولكن لا يشك أحد فى أنها كتبت بلهجة عربية متوغلة فى القدم .

وفى بعض الجهات فى شمال الحجاز وما يجاورها من بلاد نجد قد كشفت كتابات عربية ، ونقوش مختصرة أخرى ، وكان معظمها مبعثراً على صخور هنا وهناك . وتشبه كتابتها اللغة اللحيانية ، ومعظمها رموز ، ولا تحتوى إلا أعلاما ، ولا يفهم معنى كثير من كلماتها . كل هذا يجعل من الصعب الوصول إلى معرفة اللغة العربية الأولى بالدقة .

وفى القرون الأولى من العصر المسيحى عثر على آلاف من النقوش والكتابة العربية فى الجهات الصخرية فى الجنوب الشرقى من دمشق ، وتسمى لهجة « الصفا » أو اللهجة الصفوية ، وهى جهة قريبة من دمشق . وقد حفرت هذه الكتابة على حجارة صخرية ، ولم يحفر منها شىء بعناية إلا القليل . وكان من الصعب شرح تلك النقوش وتفسير تلك الكتابة القديمة ؛ لعدم وجود شىء يحاكيها باللغة العربية الحالية . ولو أن تلك الكتابة الأثرية والنقوش القديمة فى لغة الصفا ، واللغة اللحيانية ، لا نستمد منها أخباراً عن الحوادث الهامة المجهولة ، فإنها لا تزال تعلمنا كثيراً عن حياة القبائل العربية وأعمالهم وحرفهم ، تلك القبائل التى حل غيرها محلها . وللأسماء والأعلام التى تؤخذ من تلك الكتابة الأثرية قيمة كبيرة فى نظر العالم اللغوى .

إن العرب الذين كانوا يسكنون مملكة الصراصرة[١] كانوا يستعملون اللغة الآرامية فى كتابتهم ، ولكن لغتهم الأصلية كانت اللغة العربية ، ويظهر أثرها فى كتابتهم بالآرامية . وعلى هذا فنحن قادرون على أن نقول : إن هؤلاء العرب الذين كانوا يعيشون قبيل المسيح وبعد المسيح كانت لهجتهم تشبه اللغة العربية القديمة كل الشبه ، فأصول الأسماء والأفعال ثلاثة أحرف كما فى العربية القديمة ، ونهاية الكلمات ونطقها كما فى العربية القديمة ، أما العرب الذين كانوا يسكنون إدِسّا[٢] وبالمِيرا فقد كانوا أيضا من سلالة واحدة ، وجنس واحد . ومن الممكن أن تكون كتابة نمارة[٣] فى الجنوب الشرقى من دمشق كتابة عربية ، لكن بحروف الصراصرة ، ويرجع تاريخها إلى ٣٢٨ بعد الميلاد .

وفى الوقت الذى كان فيه للغة الآرامية الغلبة والانتشار أثرت تلك اللغة الآرامية فى اللغة العربية تأثيراً عظيما . وكلما أمعنا

---

(١) Nabatians of Syria .

(٢) إدسا : هى مدينة الرها ، وهى شمال ما بين النهرين : دجلة والفرات ، بين الموصل والشام . وتعد عند النصارى من المدن المقدسة ، واسمها الآن أورفا .

(٣) النمارة : قصر صغير للروم على مقربة من دمشق جنوبى منطقة الصفا . وينسب إليه نقش يرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ بعد الميلاد . وهو يشير إلى قبر امرئ القيس بن عمرو الذى كان من ملوك الحيرة ، وامتد نفوذه إلى الشام . ومنطقة الصفا واقعة بين تلال الصفا وجبل الدروز .

فى الفحص والاستقصاء اتضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التى كانت تستعمل للتعبير عن بعض الأفكار أو المواد التى تدل على درجة معينة من المدنية قد استعيرت من اللغة الآرامية . ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التى كانت لدى جيرانهم الآراميين فى الشمال ، وأنهم قد تأثروا بها ، فكان لتلك المدنية أثر عظيم فى إعداد العرب لأن يمثلوا دوراً هاماً جداً فى تاريخ العالم .

وفى القرن السادس الميلادى كان معظم السكان فى شبه جزيرة العرب يتكلمون لغة واحدة فى كل مكان ، تلك اللغة كانت أهم اللهجات العربية ، وهى المعروفة الآن باللغة العربية القديمة . وكان الشعر العربى فى ذلك الوقت شعراً مهذباً فى جميع أنحاء بلاد العرب الشمالية ، وبلاد نجد حتى ما وراء نهر الفرات . وكان الشعراء لا يستعملون إلا لغة واحدة هى اللغة العربية ، ولم تدون القصائد العربية المنسوبة للعصر الجاهلى إلا بعد ذلك العصر ؛ فقد كانت تنقل بالرواية من راوٍ إلى آخر . فلا غرابة إذا اعتراها كثير من التغيرات . وإن المتتبع لقوانين الشعر العربى — الذى له دراية بها من وزن وقافية — يرى أن هذه القصائد لم تخرج عنها ، على الرغم من أن علماء النحو قد عثروا على أشياء تخالف أصول النحو

واللغة، وذلك لموافقتها للهجة القبائل الخاصة . على أنه من المحتمل أن تكون هذه المخالفات قد حصلت بعد ذلك ، إذا لم تكن فى سجع أو قافية : لأن التغيير فى هذه النواحى يفسد الشعر ، ويذهب روعته ، لكن هذه التغييرات لم يطل بها الزمن ؛ لأن كل لهجة قد تشعبت واختلفت كثيراً عن اللغة العربية ، لغة علماء النحو والصرف ، ولا تصلح لأن تنسج منها أوزان الشعر ومقاييسه .

وقد لحظ علماء اللغة وجود خلافات وفروق صغيرة بين لهجات القبائل المختلفة ، بل وبين شاعر وآخر . ويظن بعض العلماء أن لغة الشعر عند معظم العرب كانت لغة صناعية ، وأن الشعراء فى جميع الجهات العربية قد استعملوا فى شعرهم لهجة قبائل معينة فى إنشاد قصائدهم .

إننا نسلم بمثل هذا الظن إذا رأينا هذا الاختلاف مقصوراً على الشعراء الذين يجوبون الأقطار ، وقد اتخذوا الشعر وسيلة لكسب عيشهم ، وتحصيل قوتهم ، كالنابغة الذبيانى ، والأعشى ، ولكن حينما نجد البدو رعاة الغنم الذين يقطنون الجهات الجبلية قرب مكة ينظمون قصائد شعرية بتلك اللهجات نفسها نرى أنها تدور حول شئونهم الخاصة من مشاجرات شخصية ، وتنافس فى الزعامة والرياسة والفخر ؛ فرؤساء تغلب يفخرون بالشجاعة

والنجدة ، ورؤساء بكر يخاطبون ملك الحيرة بشعر ينبض بالشجاعة والبطولة ، وطلب المبارزة فى الميدان .

وحينما ننظر إلى الشعر العربى الجاهلى نرى أنه ليس هناك أثر لوجود فرق كبير من الوجهة اللغوية ، فمن التناقض أن ندعى أن كل هؤلاء العرب الغيُر على شرف قبائلهم الذين لا يعرفون معظم القراءة والكتابة — استطاعوا أن يكلفوا أنفسهم التعبير عن أفكارهم وشعورهم بلغة أجنبية أوصناعية .

وقد اتفق علماء اللغة العربية بالإجماع على أن لغة الشعراء فى الجاهلية كانت اللغة السائدة فى شبه جزيرة العرب . وقد كان عرب البادية فى القرن الثالث الهجرى يعرفون بأنهم يجيدون اللغة العربية الصحيحة التى لم تَشُبها لكنة الأعاجم ، ولم تفسد سلائقهم العربية . ولهذا عمد النحويون وعلماء اللغة إلى الهجرة إلى البادية ، ومشافهة أولئك الفصحاء ، والنقل عنهم . كانوا يفعلون ذلك ، ويأخذون عن هؤلاء البدو فى الوقت الذى لم يحفظ فيه الواحد منهم عشرين آية من القرآن الكريم ، ولم تكن لديه أى فكرة عن النحو . وكانوا يأخذون برأيهم فى التعبير عن بعض الأمور فى اللغة العربية سائلين : أورد هذا التعبير أم لم يرد ؟ أصحيحة هذه العبارة أم خطأ ؟

ويتضح لنا أن هؤلاء العلماء المتعمقين فى اللغة لم يعرفوا إلا لغة واحدة هى لغة البدو فى بلاد العرب ، وبعبارة أخرى هى اللغة العربية القديمة . وينسب معظم الشعراء فى العصور الأولى للغة العربية إلى بعض القبائل فى الحجاز ونجد وما يجاورهما وإلى الجهات القريبة من نهر الفرات .

ويجب أن نذكر أن بعض بلاد الحجاز لم يظهر لها أثر كبير فى الشعر العربى القديم ، أما العرب فى الشمال الغربى الذين كانوا خاضعين للرومان فلم يكن لهم أى نصيب فى ذلك الشعر . وقد أنتجت قبائل تغلب وغيرها شعراء مشهورين كانوا يتدينون بالدين المسيحى . وكان أمراء غسان بالقرب من دمشق يرحبون ويحتفون بمن يظهر لديهم من الشعراء .

ويمكننا أن نقول : إن القبائل التى عرفت بالنبوغ فى الشعر العربى يبدو أنهـا كانت متجاورة فى الإقليم وفى العصر ، ثم تفرق الشعراء بعد ذلك إلى طوائف كثيرة فى بلاد واسعة الأرجاء ، وكان الشعراء يحترمون الحرم بمكة ماعدا المسيحيين منهم .

ومن الخطأ الشائع بين الأوروبيين القول بأن اللغة العربية هى لهجة قريش فحسب ؛ فإن هـذا الحكم لم يقل به مؤلف عربى يعتد به . حقا إننا نقرأ فى بعض الأحوال عن لهجة قريش وهى

لهجة مكة ، ولكن الحكم على اللغة العربية بأنها لغة قريش وحدها حكم يخالف العقل ؛ كما لو قلت فى وصف اللغة الإنجليزية : إنها لغة لندن أو لهجة أكسفورد . ومع الأسف ، قد جعلت تلك الفكرة القائلة بأن اللغة العربية هى لغة قريش أساساً لنظرية خاطئة كثيراً ما تكرر فى العصر الحاضر ؛ تلك النظرية هى أن اللغة العربية القديمة ما هى إلا لغة قريش بمكة . والحق أن لغة المحادثة فى بلاد الحجاز لم تتفق من جميع الوجوه مع لغة الشعراء ، ولكن يمكننا أن نقول : إن قبيلة قريش كانت تتكلم اللغة العربية الفصحى ؛ لغة القرآن الكريم . وقد كان للقرآن الكريم أثر كبير فى لغة الشعراء فى صدر الإسلام ، وقد حُفظ الشعر الإسلامى بشكله الحقيقى أكثر مما حفظ الشعر الجاهلى ؛ لأن رواة الشعر الجاهلى أضافوا إليه ما ليس منه ، ونحلوا شعراءه كثيراً من قصائده .

وقد رفع القرآن الكريم والإسلام من شأن اللغة العربية ، حتى صارت إحدى اللغات الرئيسة الهامة فى العالم . وبقيادة قريش أخضع العرب نصف العالم ، فانتشر الدين الإسلامى ، وخضعت أمم وممالك للسلطة العربية ، والحكم الإسلامى . وقد صارت اللغة العربية لغة مقدسة ، وهذه ميزة أخرى لها . وقد

اتضح لعلماء البحث واللغة أن كل العرب تقريباً كانوا يتكلمون لغة تقرب كل القرب من اللغة العربية القديمة ، لغة الشعراء القدماء. وقد لعب العرب الذين كانوا يقطنون فى الشمال الغربى من شبه جزيرة العرب دوراً هاما ، ومثلوا فصلا عظيما فى أثناء عصر بنى أمية. وقد انقطعت لغة المحادثة لأهل مكة والمدينة عن أن تكون تلك اللغة العربية لغة الصحراء.

وقد أجمع العلماء والرواة والأدباء واللغويون على أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً ، وأصفاهم لغةً ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم ، واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشا قُطَّان حَرَمه ، وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من كل أصقاع الجزيرة يفدون إلى مكة للحج ، ويتحاكمون إلى قريش فى أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مناسكهم ، وتحكم بينهم . ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها (أهل الله) ، لأنهم (الصريح) من ولد إسماعيل عليه السلام ، لم تشبهم شائبة ، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة ، وهذه فضيلة من الله جل ثناؤه لهم ، وتشريف ؛ إذ جعلهم رهط نبيه الأَدْنَيْن ، وعِترته الصالحين .

وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها إذا

أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، وكانوا يفعلون ذلك حينما تجتمع تلك الوفود بالأسواق المطيفة بمكة.

ألا ترى أنك لا تجد فى كلامهم عَنعَنة تميم، ولا كَشكشة أسد، ولا كَسكسة ربيعة، ولا عَجرفية قيس، ولا الكسر الذى تسمعه من أسد وقيس. مثل تِعلَمون: ونِعلَم فى قولك: تَعلمون ونَعلم، ومثل شِعير وبِعير بدلا من شَعير وبَعير.

وقد نزل القرآن بلغة قريش: قال صلى الله عليه وسلم: «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش، وأنى نشأت فى بنى سعد ابن بكر» وهى أفصح قبائل هوازن، وكان مُستَرْضَعاً فيهم. وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: «أفصح العرب عليا هوازن، وسُفلى تميم». ومن عُليا هوازن قبائل سعد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثَقيف.

وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يُسْتَحَبُّ أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مُضَر. وقال سيدنا عمر رضى الله عنه: «لا يُمِلِيَنَّ فى مصاحفنا إلا غلمان قريش وثَقيف». وقال سيدنا عثمان: «اجعلوا المُمْلِيَ من هُذَيْلٍ، والكاتبَ من ثَقِيف»

المحاضرة الرابعة
مميزات اللغة العربية وسننها

تمتاز اللغات السامية من سائر لغات البشر بوفرة كلماتها ، واطراد القياس فى أَبْنِيَتِهَا ، وتنوع أساليبها ، وعذوبة منطقها ، ووضوح مخارج حروفها . وتفضلها اللغة العربية فى كل ذلك ؛ لتصونها زمن جاهليتها قرونا سحيقة فى شبه جزيرة العرب ، وتقدمها فى الطريقة النظرية التى نشأت عليها ، آمنة شر الامتزاج بلغة الفاتحين ، أو لهجة المغيرين ، حتى ظن كثير من العلماء الباحثين أنها لغة فطرية تدريجية . وهى من أقدم اللغات السامية ، بل هى أصلها على رأى كثير من علماء عصرنا الغربيين والشرقيين .

ولا يمكننا أن ننسى أن الإعراب ، والإيجاز ، والسجع ، وكثرة المترادفات ، ودقة التعبير من خصائص اللغة العربية .

واللغة العربية الفصيحة التى نحن بصدد الكلام فيها نشأت من الآرامية فى الشمال ، والسبئية فى الجنوب . إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية فى القرون القريبة من الإسلام ، متمثلة فى العدنانية مع بقاء الحميرية مستعملة فى بعض مواطن اليمن إلى مابعد

الإسلام بقليل ، ولكن العدنانية فى جملتها لم يحفظ كيانها بعد الإسلام ، بل تغلبت عليها المضرية بنزول القرآن بلغة مضر ، ولأن أكبر أهل الحل والعقد من العرب كانوا من مضر، وبخاصة قريش.

ولم توضع اللغة العربية كلها فى وقت واحد ، ولا يعلم بالضبط أى الأنواع الثلاثة : الاسم ، والفعل ، والحرف وضع قبل غيره . والطريق إلى معرفة اللغة النقل المحض ، أو استنباط العقل من النقل. ومن شأن اللغوى أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه . ومن شأن النحوى أن يتصرف فيما ينقله اللغوى ويقيس عليه ، فيقيس المنثور على منثور العرب ، ويقيس الشعر على شعرهم .

واللغة العربية غنية لا يستطيع أن يحيط بها أحد . قال أحد العلماء : إن لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا . ولا يستطيع أن يحيط به إنسان غير نبى ، قال ابن فارس : « إن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها ، وإن الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير . وإن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله . ولو جاءنا جميع ماقالوه لجاء شعر كثير ، وكلام كثير . »

وقال أستاذنا العالم الجليل المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى « إن أول من صنف فى جمع اللغة الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين المشهور ، وألف بعده أبو بكر بن دريد كتاب الجمهرة ، نسجه

على منوال العين ، ثم ألف أتباع الخليل كتباً شتى فى اللغة ، منها المطول والمختصر ، ومنها العام فى أنواع اللغة ، والخاص بنوع منها كالأجناس للأصمعى ، والنوادر واللغات لأبى زيد الأنصارى ، والنوادر واللغات للفراء ، والتذكرة لأبى على الفارسى ، والتهذيب للأزهرى ، والجمل لابن فارس ، وديوان الأدب للفارابى . والمحيط للصاحب ابن عباد ، وغير ذلك مما لا يحصى » .

وقد حكى عن الصاحب بن عباد أن بعض الملوك أرسل إليه رسالة يسأله القدوم عليه ، فقال له فى الجواب : أحتاج إلى ستين جملا أنقل عليها كتب اللغة التى عندى . وقد ذهبت هذه الكتب جميعها فى الفتن التى نشأت من التتار وغيرهم ، حتى إن الكتب الحية الآن فى اللغة من تأليف المتقدمين والمتأخرين لا تكفى حمل جمل واحد . ولم يلتزم المؤلفون فى معظم هذه الكتب الصحيح فى اللغة ، بل جمعوا فيها ما صح ، ونبهوا على مالم تثبت صحته غالباً . وأول من التزم الصحيح واقتصر عليه الإمام أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهرى ، ولهذا سمى كتابه بالصحاح . وأعظم كتاب ألف فى اللغة بعد عصر الصِّحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن على بن سيده الأندلسى الضرير المتوفى سنة ٤٥٨ ه ، ثم كتاب القاموس للفيروزابادى . ولم يصل كتاب من هذه

الكتب فى كثرة التداول إلى ما وصل إليه الصِّحاح . ولم تنقص رتبته ولا شهرته بوجود هذه الكتب ؛ لالتزامه ما صح ، فهو فى كتب اللغة كصحيح البخارى فى كتب الحديث . وليس المدار فى الاعتماد على كثرة الجمع ، بل على شرط الصحة .

وقال السيد محمد مرتضى فى كتاب تاج العروس معلقا على القول بأنه لم يصل واحد من هذه الكتب إلى ما وصل إليه الصِّحاح بأن هذا الحكم صحيح بالنسبة إلى زمانه ؛ فقد بلغ القاموس بعد ذلك فى الاشتهار مبلغ ظهور الشمس فى رابعة النهار . قال السيوطى : « ومع كثرة ما فى القاموس من الجمع للنوادر والشوارد فقد فاتته أشياء ظفِرت بها فى أثناء مطالعتى لكتب اللغة ، حتى هممت أن أجمعها فى جزء مذيلا عليه » . وقد يسر الله هذا للسيد مرتضى صاحب تاج العروس ، فجمع ما ظفر به من الزوائد عليه فى مسوَدَّة لطيفة .

قال ابن فارس : لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها . قال جل ثناوه . « وإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِين ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الامِينُ ، على قَلْبِكَ لِتَكونَ مِن الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » . فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البيان[1] .

---

(١) ارجع إلى المزهر لجلال الدين السيوطى ج ١ ص ١٨٧ — ٢٠٠ .

وقال جل ثناؤه : «خَلَقَ الأِنْسانَ عَلَّمَهُ البَيَان .» فقد ذكر البيان على جميع ما تفرد بخلقه وإنشائه ؛ من شمس وقمر ، ونجم وشجر . فلما خص جل ثناؤه اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عن اللغة العربية ، وواقعة دونها . فإن قال قائل : قد يقع البيان بغير اللسان العربى ؛ لأن كل من أفهم بكلامه بلغته فقد بَيَّن . قيل له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعبر عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا أدنى مراتب البيان : لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لا يسمى متكلما ، فضلا عن أن يسمى مُبِينًا أو بليغًا . وإن أردت أن جميع اللغات تُبِين إبانة اللغة العربية فهذا خطأ ؛ لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية ما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، فى حين أننا نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذاك ؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟ هذا لا يخفى على ذى نهية وعقل .

وقال بعض العلماء حينما ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل ، والقلب ، والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب

فى القرآن الكريم : وكذلك لا يقدر أحد من المترجمين على أن ينقل القرآن الكريم إلى لغة من اللغات ، أو لسان من الألسنة ، كما نقل الإنجيل من السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله بالعربية؛ لأن غير العرب لم تتسع فى المجاز اتساع العرب . ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : « وإِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فانْبِذْ إليهم على سَواء . » لم تستطع أن تأتى بالألفاظ المؤدية للمعنى الذى أودِعَته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ، فتقول إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد ، نخفت منهم خيانة ونقضاً ، فأعلمهم أنك قد نقضت ماشرطته لهم ، وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العِلم بالنقض على استواء .

والشعراء قد يومئون إيماء ، ويأتون بالكلام الذى لو أراد مريد نَقْله لصَعُب عليه ذلك ، وما أمكنه إلا بمبسوط من القول ، وكثير من اللفظ . ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس :

فدَعْ عنكَ نَهْبا صِيحَ فى حَجَراته[1] .

بالعربية فضلا عن غيرها لطال عليه .

---

(١) هذا صدر بيت له من قصيدة ، يذم فيها خالد بن سدوس . قال الشنقيطى وتمامه: «ولكن حديثا ما حديث الرواحل» . وليس هذا دون صدره فى معناه .

وكذا قول القائل : « والظن على الكاذب »[١] .

« ونِجارُها نارُها »[٢] و« عَيَّ بالأَسْنَافِ »[٣] و« هُوَ بَاقِعَةٌ »[٤]

وهو كثير ، بمثله فاقت لغة العرب اللغات .

ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق ، واليقين والشك ، والظاهر والباطن ، والحق والباطل ، والمُبين والمُشكل ، والاعتزاز والاستسلام لعيَّ به .

أما عدم القدرة على نقل اللسان العربى إلى شىء من الألسنة على أى وجه كان ففيه نظر . وقد ترجم جمع من العلماء واللغويين القرآن الكريم بالفارسية والهندية واللغات الإفرنجية وغيرها من الألسنة . وهى تؤدى معناه ، وتبين فحواه بلاشك ، وإن لم تكن

---

(١) من قطعة فى حماسة أبى تمام ، للحارث بن هجان الشيبانى ، والبيت الذى فيه هذه الجملة هو قوله :

أنا ابن زيابة إن تدعنى آتك والظن على الكاذب

(٢) نجار الشىء : أصله . والنار : السمة . يقال : ما نار هـذه الناقة ؟ أى ما سمتها ؟ و « نجـارها نارها » مثل يضرب فى شواهد الأمور التى تدل على علم باطنها ، كما تدل سمة الإبل على أصلها .

(٣) السناف والأسناف . كاللبب للفرس . قال الزمخشرى فى أساس البلاغة « عى فلان بالأسناف » إذا دهش من الفزع ، كمن لايدرى أين يشد السناف. قال :

إذا ما عى بالأسناف قوم من الهول المشبه أن يكونا

(٤) قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : هو باقعة من البواقع للكيس الداهى من الرجال ، شبه الطائر الذى يرد البقع وهى المستنقعات — دون المشارع خوف القناص .

من استقصاء المعانى كلها ، ومراتب الفصاحة والبلاغة جلها بمكان العربية. نعم اللغة العربية أفضل اللغات ، ولسان العرب أجود الألسنة وأكملها ، بخصائص توجد فيه ولا توجد فى غيره.

ومما اختصت به لغة العرب بعد ماتقدم قلبهم الحروف عن جهاتها ، ليكون الثانى أخف من الأول ، نحو قولهم : ميعاد ولم يقولوا مِوْعاد وهما من الوعد . ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين ، وقد يجتمع فى لغة العجم ثلاثة سواكن ، ومنها اختلاسهم الحركات فى مثل : « فاليوم أَشْرَب غير مُستحِقبٍ [(١)] »

ومنه الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف مثل: لم يَكُ ، ولم أُبَلْ .

ومن ذلك إضمارهم الأفعال مثل : « امرأً أتقى الله » ، و« أَمْرَ مُبْكِيَاتِك لا أمرَ مُضحكاتِك » .

ومما لا يمكن نقله ألبتة أوصاف السيف والأسد والرمح ، وغير ذلك من الأسماء المترادفة . ومن المعروف أن العجم لاتعرف للأسد غير اسم واحد ، أما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم . قال ابن خَالَوَيْه الهمذانى : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين . وقد جمع حمزة الأصبهانى من أسماء الدواهى مايزيد على أربعمائة ، وذكر أن تكاثر أسماء الدواهى من الدواهى .

---

(١) قال الشنقيطى تمامه : « إثماً من الله ولا واغل » .

ومن العجائب أن أمة وسَمت معنًى واحداً بمئين من الألفاظ . وقد حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه : أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العُقْلِيِّ ففسَّره ، فقال : يا أصمعي : إن الغريب عندك لغير غريب . فقال : يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟

قال ابن فارس : فأين لسائر الأمم ما للعرب ؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم : ذات الزُّمَيْنِ ، وكثرة ذاتِ اليَدِ ، ويدُ الدهر ، وتخاوصَتِ النجوم ، ومَجَّت الشمس ريقها ، ودرأَ الفَيْءُ ، ومفاصل القول ، وأتى بالأمر من فَصِّه ، وهو رَحْب العَطَن ، وغَمْرُ الرِّدَاءِ ، وهو ضَيِّق المجَمِّ ، قَلِق الوَضِين ، رابطُ الجأش ، وهو ألوَى بعيد المُسْتَمَرِّ ، وهو جذَيْلُهَا المحكَّك ، وعُذَيقُها المُرَجَّب . وما أشبه هذا من بارع كلامهم . ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدّالة كثير وكثير .

وإن فى كتاب الله تعالى من الخطاب العالى أكثر وأكثر ، قال جل ثناؤه : « ولَكم فى القِصَاصِ حياةٌ » . « يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عليهِمْ هُمُ العَدُوُّ » . « وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بها » . « إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ ، وإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحقِّ شَيْئاً » . « إنما بَغْيُكم على أَنْفسِكُم » . « ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ » . وهو أكثر من أن نأتى عليه .

وللعرب بعد ذلك كَلِمٌ تلوح فى أثناء كلامهم كالمصابيح فى الدجى ، كقولهم للجَموع للخير : « قَثُومٌ » . « وهذا أمر قاتم الأعماق ، أسود النواحى » . « وله قدم صدق » . وفى هذا الأمر مصاعب وقُحَم ، وامرأة حَيِيَّةٌ قَذِعة ، « قليلة الكلام حَيِيَّةٌ » . وذا أمر أنت أردَته ودَّبرته ، وتقاذَفت بنا النَّوى ، واشتَفَّ الشراب ، ولك قُرْعَة هذا الأمر أى خيارُه . وما دخلتُ لفلانٍ قَرِيعَةَ بيتٍ ؛ أى سقف بيت . وهؤلاء قرابين الملك ، وليل أَقْعَسُ ، « لا يكاد يَبرْح » . وأقبلت مَقَاصِرُ الظلام ، إلى غير ذلك . وهذه كلمات من قرْحَةٍ واحدة ، وفى رواية من قُدْحَةٍ واحدة ، فكيف إذا جالِ الطرف فى سائر الحروف مجاله ؟ ولو تقَصَّيْنا ذلك لجاوزنا الغرض ، وما حوته مؤلفات[1] .

واختصت العرب من العلوم الجليلة التى اختصت بها بالإعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيِّزَ فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا نعت من تأكيد .

وللعرب العروض وموازين الشعر ، وبها يعرف صحيحه من سقيمه . وقد حفظ العرب الأنساب ، ولم يعن أحد من الأمم

---

(١) ارجع إلى الصاحبي ص ١٢ — ١٦ والمخصص للسيوطى ج ١ ص ١٨٩ .

عناية العرب بحفظ النسب . وقد انفردت اللغة العربية بالهمز فى آخر الكلام ، مثل قرأ وبدأ ، ولا يكون الهمز فى شىء من اللغات إلا ابتداء . واختصت اللغة العربية بالحاء والطاء . وقيل إن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم ، وانفردت بالألف واللام للتعريف ؛ كقولنا الرجل والفرس . وليست الألف واللام فى شىء من لغات الأمم غير اللغة العربية .

وتمتاز العربية بالتصريف والإعراب ، وبالإعراب تميز المعانى ، وتُعرف أغراض المتكلمين . فإذا قلت ما أحسن زيد برفع كلمة زيد لايعرف السامع مرادك . أما إذا قلت ما أحسن زيداً بنصب زيد وهو الصواب — ظهر بالإعراب المعنى المراد . وللعرب فى ذلك ماليس لغيرهم ، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعانى . يقولون : مِفتح للآلة التى يفتح بها ، ومَفتح لموضع الفتح .

ويقال امرأة طاهر من الحيض ، وطاهرة من العيوب ؛ لأن الرجل لايشاركها فى الحيض ، بل يشاركها فى الطهارة .

ومن فاته علم التصريف فاته كثير ، فنحن نقول : وَجَدَ المطلوب ، ووجِدَه يَجِدُه وَجْدا ، وَجِدَةً وَوُجُداً وَوُجُوداً وَوِجْدَاناً : أدركه وأصابه ، وظفر به بعد ذهابه .

ويقال وجَدت الضالَّة . وتأتى وجَد بمعنى عَلِمَ فتنصب مفعولين ؛ مثل : وجدت صدقَك راجحا .

(وَجَد) المال وغيره : يجِده ، وِجْداً ، وجِدَةً : استغنى .

وفى التهذيب للأزهرى (وَجَدْتُ فى المال) : يَجِدُ ، وَيَجُدُ ، وَجْداً ، وَجِدَةً ، وَمَوْجِدَةً ، وَوجدانا : غضِب . وفى الحديث « إنى سائلك فلا تَجُدْ علىّ » ، أى لا تغضب من سؤالى .

ويقال : وَجدَ به وَجْداً : أى أحبَّه . ووجِدَبه : حَزِنَ .

ويقال القاسط للجائر ، وقسط : جار ، والمقسِط للعادل ، وأقسط : عدَلَ . فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل ، وأمثلة ذلك كثيرة لا تكاد تنحصر .

١ — ومن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ؛ كقولهم عند المدح : قاتله الله ما أشعره ! والاستعارة ، مثل : انشقت عصاهم ؛ إذا تفرقوا . وكشفت عن ساقها الحرب ، وكقولهم للبليد : حمار .

٢ — ومن سننهم أيضاً الحذف والاختصار ، كقولهم : والله أفعل ذلك ، أى لا أفعل . وكقوله تعالى « واسأل القرية » أراد أهلها . والزيادة نحو : « ليس كمثله شيء » فالكاف زائدة . وتكون الزيادة في الأسماء والأفعال والحروف .

٣ — ومن سننهم التكرير والإعادة بقصد الإبلاغ ، بحسب العناية بالأمر ، قال الحارث بن عباد :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّى لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

فكرر قوله (قربا مربط النعامة منى) فى رءوس أبيات كثيرة ، عناية بالأمر ، وإرادة الإبلاغ فى التنبيه والتحذير .

٤ — ومن سننهم : إضافة الفعل إلى ماليس فاعلا فى الحقيقة ، كقوله تعالى : « فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فأقامَه » ؛ فنسب الإرادة إلى الجدار ، ويقال : فلان يريد أن يموت إذا كان محتضراً .

٥ — وذكر الواحد وإرادة الجمع ، كقولهم للجماعة : ضيف ، وعدوٌّ .

٦ — وذكر الجمع والمراد اثنان ، نحو قوله تعالى : « فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا » ، وهما قلبان .

٧ — ومخاطبة الواحد بلفظ الجمع ، نحو « ربِّ ارجعون » ، وكقولهم للرجل العظيم : « انظروا فى أمرى » ، وقول من يعظم نفسه : نحن فعلنا .

ومخاطبة الواحد خطاب الجمع إذا أريد بالخطاب هو ومن معه ، كقوله تعالى : « يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ » . فخوطب صلى الله عليه وسلم بلفظ الجمع ؛ لأنه أريد هو وأمته .

٨ — والإخبار عن جماعة وواحد بلفظ الاثنين ؛ كقوله تعالى : « أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوَات والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا » ؟

٩ — وتحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب ، ومن الغائب إلى الشاهد ، وهو الالتفات ، نحو قوله تعالى مخاطبا النبى : « فإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ » ثم قال للكفار : « فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ » يدل على ذلك قوله : « فهل أنتم مسلمون ؟ » ومثل هذا فى القرآن كثير .

١٠ — ومنها أن تنسب الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما ، نحو قوله تعالى : « مَرَجَ البَحْرَيْنِ » إلى قوله : « يَخْرُجُ مِنهُمَا اللُّؤْلُؤُ والْمَرْجَانُ » وإنما يخرجان من الملح لا العذب .

١١ — ومنها أن تنسب الفعل إلى الجماعة وهو لواحد منها ، مثل : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا » ؛ فالقاتل واحد .

١٢ — أو تنسبه إلى أحد اثنين وهو لهما ، مثل « واللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ » . وكقوله تعالى : « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إليهَا » والمراد : انفضوا إليهما .

١٣ — ومنها أن تأمر الواحد بلفظ أمر لاثنين ، نحو : افعلا

ذلك ، ويكون المخاطب واحداً ، ونحو ياصاحبَّ ، ويا خليليَّ ، والمراد ياصاحبي ويا خليلي.

١٤ — والإتيان بلفظ الماضى وهو حاضر أو مستقبل ، نحو « أتَى أمرُ الله » أى يأتى ؛ و« كنتم خيرَ أمة » أى أنتم ، وبالعكس نحو : « فَلِمَ تَقتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ » ؛ أى فلم قَتَلْتُمْ ؟ ونحو : واتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ؛ أى ما تلَتْ .

١٥ — ووصف الشيء بما يقع فيه ، نحو يومٌ عاصفٌ ، وليلٌ نائمٌ أو ساهرٌ.

١٦ — ومنها التوهم والإيهام ، وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ، ثم يجعل ذلك كالحق ، نحو قولهم : « وقفتُ بالرَّبع أسأله » وهو أكمل عقلا من أن يسأل رسما يعلم أنه لايسمع ولا يعقل ، لكنه تفجع لما رأى الساكنين قد رحلوا ، وتوهم أنه يسأل الرَّبعَ : أين ذهبوا ، وذلك كثير فى أشعار العرب [١] .

١٧ — ومنها الفرق بين الضدين بحرف أو حركة كيدوى من الداء ، ويداوى من الدواء .

١٨ — والبسط بالزيادة فى عدد حروف الاسم والفعل ، ولعل

(١) ارجع إلى الصاحبى ص ١٩٢ .

أكثر ذلك لإقامة الوزن ، كفُرْقُودٍ فى فَرْقَد ، ويرقود فى يَرْقُد ، كقول الشاعر :

وليــــلةٍ خامدةٍ خُمُودَا طَخْياءَ تغشَى الجدىَ والفُرْقُودَا

فزاد فى الفرقد الواو وضم الفـاء ، حتى يستقيم وزن الشعر وتُسَوَّى قوافيه ، وكذلك زاد الواو فى قوله : (لو أن عمراً هَمَّ أن يرقُودَا) أى يرقد[1] .

١٩ — ومنها الإضمار للأسماء ، مثل ألا يا سلمى ؛ أى ياهذه .

٢٠ — والإضمار للأفعال ، مثل : أثعلبا وتفر ؟ أى أترى ثعلبا وتفر ؟

٢١ — والإضمار للحروف ، مثل : (ألا أيُّهذا الزاجرى أحضُرَ الوَغَى) أى أن أحضُرَ الوغَى . وفى كتاب الله : « ألم غُلِبَت الرومُ » : أى لقد غلبت الروم[2] .

٢٢ — ومنها التعويض ، وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة ، كإقامة المصدر مقام الأمر ، نحو : فضَرْبَ الرِّقَابِ ، وإقامة الفاعل مقام المصدر ، نحو : ليس لوقعتها كاذبة : أى تكذيب ، وإقامة المفعول مقام المصدر ، نحو بأيكم المفتون : أى الفتنة ، والمفعول مقام

---

(١) ارجع إلى فقه اللغة لابن فارس ص١٧٣ .

(٢) ارجع إلى الصاحبي ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

الفاعل، نحو : حجاباً مستوراً ؛ أى ساترا ، والفاعل مقام المفعول نحو : « لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ » . أى لامعصوم ؛ « وعيشة راضية » أى مَرضىّ بها .

٢٣ — ومنها تقديم الكلام وهو مؤخر فى المعنى ؛ كقوله : (ما بال عينك منها الماء ينسكب) ، أراد ما بال عينك ينسكب منها الماء . وقوله تعالى : « ولولا كلمة سَبَقَتْ من ربِّكَ لكان لِزامًا وأَجَلٌ مُسمىًّ » ؛ فأجل معطوف على كلمة ، والتأويل ولولا كلمة سَبَقَتْ من ربِّك وأجل مُسمى — أراد الأجل المضروب لهم وهو قيام الساعة — لكان العذاب لازما لهم[١] .

٢٤ — ومنها تأخير الكلام وهو مقدم فى المعنى نحو : « يا مريمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَع الرَّاكِعِينَ » والركوع قبل السجود .

ونحو : « آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْـهِ قِطْرًا » أى آتونى قطراً أفرغه عليه .

ونحو : كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال ، أى كفانى قليل من المال .

---

(١) ارجع إلى الصاحبي ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

٢٥ — ومنها الاعتراض بين الكلام وتمامه ؛ كقولك : اعمل — والله ناصرى — ماشئت ، والمرد : اعمل ما شئت .

٢٦ — والإشارة إلى المعنى : نحو : طويل النجاد ، يريدون طول الرجل ، وفى هذا إشارة وإيماء بغير تصريح ، ونحو : غَمْر الرداء ، يشيرون إلى الجود .

٢٧ — ومنها الكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام : كقول الشاعر :

إذا قلت سيروا نحو ليلى لَعَلَّها
جرى دون ليلى مائل القَرْن أَعْضَبُ

فقد ترك خبر لعلها .

٢٨ — ومنها إعارة الشىء ما ليس له ؛ كقولهم : مر بين سمع الأرض وبصرها . وإجراء مالا يعقل مجرى من يعقل ، كقوله فى جمع أرض أرضون ، وكقوله تعالى : « كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » ، وقوله : « يأيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ » .

٢٩ — والاقتصار على ذكر بعض الشىء والمراد كله ، كقوله تعالى : « أو تحريرُ رقبةٍ مُؤْمنةٍ » ، فذكر الرقبة والمراد العبد .

٣٠ — والعرب تصف الجمع بصفة الواحد ؛ كقوله جل

ثناؤه : « والملائكةُ بعد ذلك ظَهيرٌ » . ويقولون : قوم عَدْلٌ ، وَقَوْمٌ رِضًا .

وربما وصفوا الواحد بلفظ الجمع : كقوله تعالى : « ما كانَ للمشركين أن يَعْمُرو امَساجِدَ اللهِ» أراد أن يعمروا المسجد الحرام .

وقد جاء القرآن الكريم بجميع هذه السنن ، لتكون حجة الله عليهم آكد .

قال الفارابى : « هـذا اللسان كلام أهل الجنة » وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة ، والمعَلَّى من كل خسيسة ، والمُهَذَّب مما يُسْتَهجَن ، فُبنى على مبان خالف بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله لهم ، وتأليف بين حركة وسكون حلاَّه به . والعرب تميل عن الذى يلزم كلامها الجفاء ، إلى ما يُلَيِّن حواشيه ويُرَقِّقُها . وقد نزه الله لسانها عما يجفيه » .

ولم تكن الكُنَى لشىء من الأمم إلا للعرب . والكُنْيَةُ إعظام ، وماكان يؤهل لها إلا ذو الشرف . ثم ترقَّوْا عن الكُنَى إلى الألقاب الحسنة ، فقلَّ من المشهورين فى الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ، إلا أن ذلك ليس خاصا بالعرب ، فلم تزل الألقاب فى الأمم كلها من العرب والعجم . ويقال : اختص الله

العرب بأربع : العمائم تيجانها ، والحِبَى حيطانها ، والسيوف سيجانها ، والشعر ديوانها .

ومما لا يمكن نقله ألبتة إلى أى لغة من اللغات أوصاف السيف والأسد والرمح ، وغير ذلك من الأسماء المترادفة . ومن المعلوم أنه ليس للأسد فى غير اللغة العربية إلا اسم واحد . أما العرب فقد أخرجوا له خمسين ومائة اسم . وجمع أبو عبد الله ابن خَالَوَيْه الهمذانى خمسمائة اسم للأسد . ومن العجائب أن أمة وسعت معنى واحدا بمئين من الألفاظ . فأين لسائر الأمم من العرب ؟

ومن سنن العرب المحاباة ؛ وذلك أن تجعل كلاما بحذاء كلام . فيؤتى به على وزنه لفظا ، وإن كانا مختلفين معنى ؛ فيقولون : الغدايا والعشايا ، فقالوا الغدايا لانضمامها إلى العشايا . ومثله قولهم : (أعوذ بك من السامّة واللامّة) فالسامة : مأخوذة من قولك : سَمَّت إذا خَصَّت ، واللامَّة أصلها أَلَمَّتْ ، لكن لما قرنت بالسَّامَّة جعلت فى وزنها . ومن هذا الباب كتابة المصحف « والليل إذا سَجَى » بالياء ، وهو من ذوات الواو ، لَمَّا قُرِن بغيره مما يكتب بالياء .

وقد تكفلت كتب المعانى والبيان والبديع ببسط ما اشتمل

عليه كلام العرب من فنون البراعة والجمال فى الأسلوب . وقد سأل أبو إسحق الكندى الفيلسوف العربى أبا العباس المبرد فقال : إنى أجد فى كلام العرب حشواً ؛ يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ، والمعنى واحد .

فأجابه أبو العباس : إن المعانى مختلفة : فقولهم : عبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وقولهم : إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وقولهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه . فانظر إلى تفاوت هذه المعانى مع تغيير يسير فى اللفظ .

الألفاظ الإسلامية فى اللغة العربية

كانت العرب فى جاهليتها على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ، ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الإسلام حدثت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من موضع إلى آخر بزيادة زيدت ، وشريعة شرعت . فكان مما جاء فى الإسلام ذكر المؤمن والمسلم ، والكافر والمنافق : فإن العرب إنما عرفت المؤمن من الإيمان ، والإيمان هو التصديق ، ثم زادت الشريعة شروطا وأوصافا ، بها سمى

المؤمن بالإطلاق مؤمنا ، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت من إسلام الشيء ، ثم جاء فى الشرع من أوصافه ماجاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر . فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من نافقاء اليربوع ، ولم يعرفوا فى الفسق إلا قولهم فَسَقَت الرّطبة إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع أن الفسق هو الإفحاش فى الخروج عن طاعة الله تعالى .

ومما جاء فى الشرع : الصلاة والصوم والحج والزكاة ، فالصلاة فى اللغة : الدعاء ، والصوم : الإمساك ، والحج : القصد ، والزكاة : النمو . وقد زاد الشرع فيها ما زاد . ومثل هذا جميع أبواب الفقه ، فإذا سئل الإنسان عن شيء من هذه الأشياء قال : إن له معنيين : لغوى وشرعى ، ثم ذكر المعنى اللغوى ، وهو ماكانت العرب تعرفه ، ثم المعنى الشرعى وهو ماجاء الإسلام به .

وقد حدثت فى صدر الإسلام أسماء ؛ كقولهم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهلية مُخضرَم(١) . ومن الأسماء التى كانت فزالت بزوال معانيها المِرباع والنشيطة والفضول .

---

(١) المخضرم من الشعراء : من قال الشعر فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام ؛ مثل حسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة ، والنابغة الجعدى .

ومن الأسماء التى تركت أيضا الإتاوة والمَكْس والحُلْوان ، وقولهم أَنعِم صباحًا ، وأَنعِم ظلامًا ، وأبيتَ اللَّعْنَ ، وقول المملوك لمالكه : رَبِّى[1] ، وتسمية من لم يَحُج صرورة[2] ، والإبل التى تساق فى الصَّداق : النَّوافج .

ومما كره فى الإسلام من الألفاظ قول القائل : خَبُثَت نفسى[3] ، واستأثر الله بفلان ، وحِجْرا محجورا ، وكان هذا عند العرب لمعنيين : أحدهما عند الحِرمان إذا سُئل الإنسان قال حِجرا محجورا ، فيعلم السائل أنه يريد أن يحرمه . ومنه قوله :

حَنَّتْ إلى النّخلة القُصوى فقلت لها :
حِجرٌ حرام ألا تلك الدّهاريسُ

والوجه الآخر : الاستعاذة ، كان الإنسان إذا سافر فرأى من يخافه قال : حجراً محجوراً : أى حرام عليك التعرض لى . وعلى هذا فُسِّر قوله عز وجل : « يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ لا بُشرى

---

(١) ارجع إلى كتاب « البلغة فى أصول اللغة » للسيد محمد صديق حسن ، طبعة القسطنطينية ص ٤٩ ، وإلى كتاب فقه اللغة لابن فارس ص ٤٤ — ٤٧ .

(٢) الصرورة : المتعبد الذى يجتنب النساء وطيب الطعام ، وفى الإسلام من لم يحج .

(٣) قال الشاعر :

وأسلمن فيها رب كندة وابنه ورب معد بين خبث وعرعر .

يومئذ للمجرمين . ويقولون : حجرًا محجورًا . » يقول المجرمون كما كانوا يقولونه فى الدنيا .

اللغة العربية لغة القرآن الكريم

اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم . والقرآن الكريم : « لا يأتيهِ الباطل مِنْ بَينِ يدَيه ولا مِنْ خَلْفِهِ ، تنزيل مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ » . ولا يمكن أن يترجم القرآن إلى لغة أخرى ترجمة كاملة تتجلى فيها بدائع الصيغ التى أعجزت أبلغ الفصحاء ؛ لأن المترجم قد يضطر إلى الشرح فيقع فى التحريف . وقد قامت بترجمته بعض الجماعات المسيحية التبشيرية ؛ فجاءت ترجمته مشوهة ، ضاع فيها الغرض البلاغى ، وفقد منها الإعجار اللفظى والمعنوى . وتَرجَم معنــاه محمد على الهندى . وعلى كل مسلم — سواء أكان فارسيا أم تركيا ، صينيا أم حبشيا ، هنديا أم أفغانيا — أن يحفظ من القرآن الكريم القدر الضرورى للصلوات الخمس ، ويعرف قليلا من اللغة العربية .

وقد كسبت اللغة العربية بحكم وضعها الدينى مكانة سامية بين اللغات الحية قديما وحديثا . والفضل فى ذلك للقرآن الكريم الذى صانهــا من كيد كل عابث . وبهذه الخاصة صرنا الآن

نقرأ شعر إمرئ القيس ونفهمه بعد مراجعة يسيرة ، وأنت تعرف كم قرناً مر على هذا الشاعر الجاهلى ، ولن تجد ذلك فى جميع اللغات .

وكل أمة استظلت براية الإسلام ، غمر طوفان العربية لغتها ، فكتبت بالكلمات العربية ، والعبارات الاصطلاحية فى المؤلفات الدينية والعلمية . يقول المرحوم (برَوْنى[1]) المستشرق الإنجليزى الكبير : « إن من الصعب أن تكتب لغة فارسية خالية من اللغة العربية ، كما أن من الصعب أن تكتب لغة إنجليزية خالية من اللغة الإغريقية أو اللاتينية . ومن الممكن فعل ذلك فى حدود معينة ، لكن النتيجة هى أن من الصعب فهم ما يكتب من غير التجاء إلى المعجم . وحينما أكتب هذا ، أمامى صحيفة فارسية ، مادتها سهلة ، وأفكارها واضحة ، ومع ذلك فإن الكتّاب أنفسهم شعروا بأنهم مضطرون لكتابة هامش لما يكتبون ، شارحين معانى اثنى عشرة كلمة على الأقل من مائة كلمة ، بما يرادفها من الكلمات العربية ؛ حتى يستطيع القارئ الفارسى العادى أن يفهمها ، مثل : دَارَاد : صِراط . خُهْر : وَطَن . فارْهِخْت : أدب . وهكذا . والكلمات :

---

(١) Browne : مستشرق إنجليزى غير متعصب ، توفى منذ سنوات ، وله آثار هامة فى الأدب الفارسى .

صراط ، وطن ، أدب : ألفاظ عربية استعارتها الفارسية . والكتب الفارسية حتى القديمة منها — لا تخلو من الكلمات العربية كما يظن » .

وقد قال أحد الحكماء : « وضعت الحكمة فى ثلاثة أشياء : مخ الإفرنج ، وأيدى الصينيين ، ولسان العرب » .

الأدب العربى أدب عالمى

انتشرت اللغة العربية انتشاراً عظيما ، ولها صلة كبيرة بالنوع الإنسانى أكثر من أى لغة أخرى ، ولا عجب ؛ فقد كان الأدب العربى فى العصور الوسطى يعد أدبا عالميا ، واللغة العربية حاملة لواء التراث الثقافى العالمى . وفى العالم اليوم نحو سبعين ألف ألف من الناس يتكلمون اللغة العربية ، كأنها لغة لهم . وكثير منهم يعرفون شيئا من أدبها فى القرآن الكريم . وفى جزائر فلبين تكرر سورة الفاتحة قبل طلوع الفجر ، ويسمع القرآن الكريم فى وادى هملايا ، وفى كثير من جهات العالم . وبعد الفجر يقرأ الإيرانيون شيئا من القرآن فى صلاتهم . وفى شبه جزيرة العرب يقرأ القرآن ، وينادى المؤذنون للصلاة . وفى بلاد الصين تكرر الأدعية والصلاة . وفى وادى النيل تنهض اللغة العربية ، وكثيرا

ما نسمع الله أكبر ، الله أكبر . وفى الصحراء وبلاد البربر تسمع الأدعيـة والصلوات . وفى تونس والجزائر ومراكش يسمع القرآن والدعاء . وفى تركيا القديمة ، وأفغانستان ، وسومطرة ، وروسيا الجنوبية يعلم القرآن فى المدارس .

واللغة العربية منتشرة لا فى بلاد العرب فحسب ، بل فى مصر وبغداد ، ودياربكر ، وسورية وفلسطين ، وفى شمال إفريقية ، حتى فى مستعمرة الكاب . وفى سنة ١٣١٥م ابتدأت اللغة العربية تعلم فى الجامعات الأوروبية لغرض هو التبشير . واليوم نجد اللغة العربية وآدابهـا تدرس وتفحص بدقة فى « ليدن وكمبردج » ، ومعهد اللغـات الشرقية بلندن وبرلين ، كما تدرس فى مصر ودمشق وبغداد .

ومن الآثار الأدبية الخالدة فى الأدب العربى قبـل الإسلام المعلقـات العشر ، وتسمى « المذهبات » ، ولا تزال بين أيدينا . ويسلم أدباء اللغـة العربية بأن عصر المعلقـات كان العصر الذهبي حقا للأدب العربى الجاهلى . وقد أنشد هـذه المعلقات زهير بن أبى سـلمى ، وامرؤ القيس ، وطرفة بن العبـد ، ولبيد بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة بن شداد ، والحارث بن حلزة اليشكرى . والأعشى ، والنابغة الذُّبيانى ، وعُبيد بن الأبرص ، وكانوا جميعاً

— ما عدا لبيداً — وثنيين من عباد الأوثان . وينسبون إلى مايسميه الإسلام العصر الجاهلى . وقد كانت هذه القصائد نموذجا حسناً لمن أتى بعد ذلك العصر من الشعراء .

ويرى « البارون دِى شِلِين » أن المعلقات مشهورة بسلامتها فى اللفظ ، وعلوها فى اللغة ، وكمالها فى الأسلوب الشعرى .

أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية

كان للقرآن الكريم أثر كبير فى الأدب العربى ؛ فمنه استمد وحيه ، وقد تجلى هذا الأثر فى عذوبة أسلوبه ، وقوة وقعه فى النفوس ، وروعته فى القلوب ، وجماله فى المعنى والموسيقا . ولم يستطع أحد من المترجمين أن يحاكى القرآن الكريم فى أسلوبه . وحاول كثير من المستشرقين محاكاته فى السجع فعجزوا . وقد يبدو هذا الأمر عجيباً من أولئك المحاكين أو طالبى المحاكاة ؛ فإن من كانوا يعدون أساطين هذه اللغة ، وفرسان البلاغة العربية من العرب أنفسهم قد عجزوا عجزاً فاضحاً فى كل محاولة أرادوها . فكيف بأولئك الأعاجم من مستعربى هذا العصر ؟

ولا يستطيع أحد من المبشرين أن ينكر جمال القرآن الكريم

وروعته. يقول (بِنْرِيس[1]) فى مقدمته لكتابه (معجم القرآن) : « هناك كثير من الجمال الباهر ، أفكار شعرية عالية ، تكسى بلغة غنية ترتفع إلى درجة دونها أى ترجمة . وإن كثيراً من محاسن القرآن التى يعجب بها المستشرق لا يستطيع أن يفهمها المبتدئ من المستشرقين . وإن الإيجاز الجميل الذى يزيد كثيراً فى قوة التعبير والتأثير يحير هؤلاء المترجمين » .

وإننا لنفخر باللغة العربية كل الفخر : فإنك تجد من العسير جدا على طلاب دراسة لغات الفرس والترك والهنود المسلمين ، ولغات البلاد الإسلامية الأخرى أو آدابها أن يجيدوها إلا إذا إجادوا اللغة العربية إجادة تامة . ولا يقدر العربية ويجلها إلا من يجيدها ، ويتعمق فى دراستها .

أثر اللغة العربية فى اللغات الأخرى

وقد كان للغة العربية تأثير كبير فى اللغات والشعوب الأخرى بعد ظهور الإسلام ؛ فقد اتخذت اللغة الفارسية الحروف الأبجدية العربية حروفاً لها ، واستعارت كثيراً من كلماتها وعباراتها وجملها . والأثر العربى واضح كل الوضوح فى

(١) ارجع إلى : Dictionary of the Koran, by Penrice .

اللغة الفارسية وآدابها . وقد لاحظ (رينان[1]) أن كل الكلمات عربية فى بعض الكتب الفارسية ، ولو أن القواعد غير عربية . وثلاثة أرباع الكلمات فى اللغة الهندوستانية مأخوذة من العربية . واللغة التركية مدينة فى كثير من كلماتها للعربية . وكانت تستعمل الحروف الأبجدية العربية قبل عهد المرحوم مصطفى كمال باشا . وقد تأثرت لغة شبه جزيرة الملايو باللغة العربية أيضاً عند ما فتحها المسلمون ، واتخذت حروفها الأبجدية . وكان تأثيرها ملموساً جدا فى إفريقية ، وقد انتشرت فى النصف الشمالى لإفريقية .

وقد سبق العربُ الرحالين « لِفِنْجِستون[2] ، وستَانْلى ، وسَبِيْك » فى رحلاتهم . وقد استعارت لغات السودان الجنوبى كثيراً من اللغة العربية ، ولم تنج أوروبة نفسها من تأثير تلك اللغات السامية الغالبة الظافرة الفاتحة . وفى اللغتين : الأسبانية والبرتغالية عدد كبير من الألفاظ والاصطلاحات العربية . وإن اللغتين : الفرنسية والإنجليزية مدينتان للغة العربية لدرجة كبيرة فى كثير من الكلمات

---

(١) المستشرق الفرنسى المتعصب .

(٢) David Livingstone : داود لفنجستون رحالة إنجليزى كان — وهو غلام فقير — يعمل بمصنع القطن نهارا ، ويدرس فى مدرسة مسائية ليلا . عرف بكثرة حبه للقراءة فى أوقات فراغه ، ثم وجدت لديه الرغبة فى دراسة الطب ، فدرسه حتى نال الدكتوراة ، ثم سافر إلى إفريقية ، وخصص حياته بمحاربة الرق ، ومحاربة بيع العبيد ، والعمل على تحريرهم .

العلمية التى دخلتهما وقت الحروب الصليبية وقبلها .

ولنذكر هنا مجموعة صغيرة من الكلمات التى أخذتها اللغة الإنجليزية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من اللغة العربية كما هو مذكور فى معجم الاشتقاق للعالم (سكيت[١]) .

الإنجليزى	العربى	الإنجليزى	العربى
Alcohol	الكؤول	Mohammedan	محمدى
Hakim	قاض ، حاكم	Magazine	مجلة ، مخزن
Druze	درزى	Hegira	هجرة
Syrup	شراب	Caliph	خليفة
Cotton	قطن	Mameluke	مملوك
Bedouin	بدوى	Sultan	سلطان
Arabesque	عربى	Mussulman	مسلم
Mosque	مسجد	Emir	أمير
Myrrh	مر	Emirs	أمراء
Dragoman	مترجم	Vizier	وزير
Tariff	تعريف،جدول	Moslem	مسلم
Carob	خروب	Mufti	مفتى
Sofas	أريكة	Koran	قرآن
Summach	سماق(شجرة)	Algebra	الجبر
Tartar	طرطير ، تترى	Alchemy	الكيمياء
Zero	صفر	Sheikh	شيخ
Tamarind	تمر الهند	Hareem	حريم
Admiral	أمير البحر	Gazelle	غزال
Cipher	صفر	Coffee	قهوة
Yerboa	يربوع(حيوان)	Saffron	زعفران
Sherbet	شراب	Mejlis	مجلس

(١) Skeat's Etymological Dictionary .

وقد نقل معظم تلك الكلمات من العربية إلى الإنجليزية عن طريق لغات أخرى كالفرنسية والأسبانية . وهناك كلمات أخرى نقلت مباشرة من العربية إلى الإنجليزية ، ومع هذا قد مرت بعض الكلمات برحلة طويلة من اللغة العربية إلى الإغريقية ، ثم إلى اللاتينية ، ثم إلى الإيطالية ، ثم إلى الفرنسية ، ومن هذه نقلت إلى الإنجليزية . وربما تكون كلمة magazine بمعنى مخزن — أحسن مثل لشرح الطريقة التى وجدت بها كلمة عربية الأصل مأوى فى تربة كل اللغات الأوروبية ، واستعملت فى معان كثيرة مأخوذة من معناها الأصلى ، فهى من الفعل العربى : خَزَنَ بمعنى : جَمَعَ .

أثر الأدب العربى فى الآداب الغربية

لقد ترك العرب ثروة لغوية فنية ، وروحية وإنسانية ، فيما تركوه من الكتب العربية . وقد استفاد الغرب والأدب الغربى من الشرق والأدب العربى كثيراً فى القرون الوسطى . وكان للحضارة الشرقية والمدنية العربية أثر كبير فى النهضة الأدبية فى عصر النهضة الأوروبية .

قال الأستاذ (ماكيل[1]) : « كما أن أوروبة مدينة بدياناتها

Frof. Mackail (١)

لليهود فكذلك هى مدينة بقصصها للعرب » . وقال (وارتون) فى كتابه « تاريخ الشعر الإنجليزى [1] جوالى سنة ١٧٧٠ م . « إن الحركة (الرومانتيكية) فى العصور الوسطى هى بلا ريب نتاج عربى خالص » .

ولولا ألف ليلة وليلة ماكان هناك (روبنسون كروزو) . وقد عرف الغرب كثيراً عن الشرق وأبهته وعظمته من ألف ليلة وليلة المملوءة بالألوان الفنية ، والمغامرات القوية ، والخيال البديع ، والغرض النبيل .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن القصص الشرقية من عربية وفارسية وهندية كان لها أكبر الأثر فى القصص الغربية . وقد قال (فكتور هوجو) فى مقدمة قصائده الشرقيات : « كان العالم كله فى عصر لويس الرابع عشر مقبلا على الدراسات الإغريقية ، أما الآن فقد أقبل على الدراسات الشرقية [2] » ؛ لما فيها من فن وخيال ، وآراء وأفكار .

---

(١) ارجع إلى كتاب : History of English Poetry, by warton

(٢) ارجع إلى كتاب : تراث الإسلام جـ ١ ، ص ١٧٤ من مطبوعات لجنة النشر للجامعيين .

الأثر العلمى للعرب

لقد كان للعرب أثر كبير فى العلوم والرياضيات والفلك ، فى الوقت الذى كان فيه الغرب والغربيون بعيدين كل البعد عنها : فقد أهدى الشرق إلى الغرب كنوزاً علمية ، هى سر الحضارة الأوروبية اليوم . ولا ننكر أن العرب قد أخذوا من اليونان بعض النظريات العلمية ، ودرسوها دراسة عميقة ، وفهموها فهما جيدا ، ثم أضافوا إليها كثيراً من النظريات الحديثة ، والبحوث الجديدة .

وفى استطاعتنا أن نقرر أن العرب قد قدموا للعلم أكبر خدمة ؛ فللعرب مآثر فى الحساب والهندسة والجبر ، والفلك والمثلثات والشعر . ومن علمائهم : محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المأمون ، وله أثر كبير فى الفلك والرياضيات وعلم الجبر . وهو أول من انتفع بعلم الجبر ، وألف فيه .

وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته أن أول من كتب فى الجبر أبو عبدالله الخوارزمى ، وبعده كامل شجاع بن أسلم[١] . فالخوارزمى عالم عربى ابتكر كثيراً ، وكان له أكبر الأثر فى الرياضة والفلك .

---

(١) ارجع إلى مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٩ .

ولا يمكننا أن ننسى ابن سينا[١] فى الطب والفلسفة ، والكندى فيلسوف الإسلام ، والحسن بن الهيثم ، وأحمد أبا حنيفة الدينورى [٢] ، وثابت بن قرة[٣] ، وكان يحسن اللغات العبرية والسريانية واليونانية . وهل نستطيع أن ننكر أثر عمر الخيام [٤] فى الرياضيات والفلك والفلسفة والشعر ؟

وقد ذكر ابن خلكان أن فخر الدين الرازى فريد عصره ، ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه فى علم الكلام والمعقولات ، وعلم الأوائل [٥] .

ويجب على كل عربى إحياء ماتركه علماء العرب وأدباؤهم من ذخائر علمية وأدبية ، وإخراج تلك الكنوز من أصولها ، ونشرها فى العالم العربى ؛ حتى يشعر العرب بما كان لآبائهم الأولين من أثر فى الحضارة والمدنية ، والعلوم والمعارف ، ويعملوا على أن يعيدوا مجدهم القديم ، ويحيوا آثارهم التالدة ، وثقافتهم الخالدة .

---

(١) ولد سنة ٩٨٠ م وتوفى سنة ١٠٣٧ م ويلقب بالشيخ الرئيس .

(٢) ولد فى القرن الثالث للهجرة ، وتوفى سنة ٢٨٢هـ = سنة ٨٩٥ م .

(٣) (٢٢١ هـ — ٢٨٨ هـ) .

(٤) ولد فى أواخر النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، وتوفى بنيسابور سنة ١١٢٣ م .

(٥) ارجع إلى كتاب « تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك » تأليف قدرى حافظ طوقان هدية المقتطف سنة ١٩٤١ م .

الأثر التربوى للعرب

وفى التربية العربية يترك الطفل للطبيعة ؛ فهو ابن الطبيعة حقا ، يتركه أبواه لنفسه تحت تأثير عوامل الطبيعة فى الصحراء معتمدا على نفسه ، ويربى منذ ولادته تربيـة استقلالية فى تلك المدرسة القاسية ، مدرسة الحيـاة البدوية ؛ كى يتعود احتمال الأخطار والآلام . يقول (بيرْك هارْدِت) : « لقد رأيت جماعات من أولاد العرب يلعبون وقت الظهيرة على رمل محرق فى منتصف الصيف ، ويجرون حتى يشعروا بالتعب . وحينما يرجعون إلى خيام آبائهم يوبخون ويزجرون على عدم استمرارهم فى اللعب والتمرينات البدنية » .

وإذا نظرنا إلى تاريخ العرب وجدنا أن للعرب فضلا كبيرا على الحضارة والمدنية ، والعلم والأدب ، وخاصة بعد الإسلام .

وإن نظرة واحدة إلى آراء ابن خلدون والغزالى والفارابى وابن سينا والـكندى وابن رشد ، وابن مسكويه ، وابن العربى ، وابن المقفع ، وإخوان الصفا وغيرهم فى التربية والتعليم والثقافة ، تدلنا على ما كان لهم من فضل عظيم فى دوائر المعرفة ، من دين وفلسفة ، وعلم وأدب .

وإن من يطلع على ما كتبوه لا يستطيع أن ينكر أن العرب عنوا بتربية أطفالهم تربية طبيعية ، تربية جسمية وعقلية ، تربية خلقية ووجدانية ، تربية حربية ، تربية وطنية كلها استقلال وحرية ، وأن العرب كان لهم أكبر الأثر فى الحضارة والمدنية . وليس فى استطاعتنا أن نوفى هذا الموضوع حقه فى هذا السفر الصغير الخاص باللغة لا بالتربية .

اللهجات العربية غير المشهورة

للغة العربية لهجات مختلفة متنوعة ، شأن كل لغة أخرى كثيرة الانتشار فى الأقطار والبلدان . وقد أخطأ علماء اللغة فى نسبة اختلاف لهجات اللغة العربية إلى تأثير اللغات الأجنبية التى اتصلت بها . وإننا لا ننكر أنه كان للغات الأجنبية بعض التأثير فى اختلاف اللهجات لا كله . ولو كان لها كل التأثير لا ستطاع سكان بلاد العرب الداخلية أن يتكلموا اللغة العربية كما كان يتكلمها العرب فى تلك الجهات نفسها منذ ألف سنة . ولكن الواقع أن لهجتهم تغيرت ، وأنهم لا يتكلمون كما كان يتكلم آباؤهم القدماء . وكل مسلم يتمسك بالإسلام يكرر سوراً قصيرة من القرآن الكريم عدة مرات فى صلواته الخمس كل يوم . ومعظم

المسلمين من العرب يفهمون قليلا أو كثيراً مما يقرءونه أو يسمعونه من القرآن الكريم . فلا عجب إذا قلنا إنه قد كان للقرآن الكريم أثر كبير فى اللغة العربية ، تلك اللغة الواسعة الانتشار ، أثر لم يؤثره أى كتاب آخر فى العالم ، فى أى لغة من اللغات ، وفى أى عصر من العصور .

وبالرغم من أن القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية ، وأن فريقاً من الولاة دفعهم حب تأييد ملكهم أو ميلهم إلى اللغة العربية إلى تقريب العلماء والشعراء والأدباء — ومن هؤلاء آل حمدان ، وبنو بويه — فإن اللهجات قد انتشرت وتشعبت ، واختلفت كل منها عن الأخرى اختلافاً كبيراً ، مع أنها قد كانت لغة الدين والعلم والحكومة .

وقد نجح المستشرقون أخيراً فى معرفة هذه اللهجات ، وألفوا كثيراً من الكتب فيها وفى قواعدها ، وصاروا يعرفون اللغة العامية المصرية ، والعامية فى تونس والجزائر ومراكش وطرابلس ، وتسمى لهجات بلاد المغرب . وتدخل فيها لهجة كانت لغة محادثة فى يوم ما فى جزيرة صقلية ، ولا يعرف عنها الآن إلا قليل . وتتصل بلهجات بلاد المغرب أيضاً لهجة مالطة ؛ تلك اللهجة التى تلذ العالم اللغوى ؛ لأنها قد انقطعت عن اللغة العربية العلمية منذ

أكثر من تسعمائة سنة ، وصارت متأثرة باللغة الإيطالية ، ومع هذا لا تزال تحفظ كثيراً من المميزات الخاصة بلهجات الشاطئ الإفريقي القريب منها . وقد كوّن أهل مالطة لهم لغة كتابة حديثة تختلف عن اللغة العربية القديمة ، وطبع بها كثير من الكتب بحروف لاتينية .

وقد درس علماء اللغة أيضاً لهجة بلاد الأندلس ، وانتفعوا بكثير من الآثار الأدبية الأندلسية ، كما انتفعوا بكتاب الأجرومية ومعجم (بِدْرُودِى أَلْكالا) الذى ألفه سنة ١٥٠٥ م .

وقد عرف عن لهجات سورية وبلاد العرب الجنوبية والداخلية والأقطار الشرقية الأخرى أكثر مما كان معروفاً من قبل . ولا يزال لدى العلماء واللغويين مجال عظيم للبحث ، حتى يمكن ترتيب تلك اللهجات ووضعها فى أقسام معينة .

وعلى العموم يمكننا أن نقول إن اللهجة العامية للبدو تختلف بعض الاختلاف عن لهجة غيرهم من أهل الحضر . ولا شك أن اختلاف اللهجات ليس بمستحدث ، بل كان معروفاً فى العصر الجاهلى . ولا تزال اللهجات العربية فى الأقطار المختلفة تشبه كل منها الأخرى ، مع بعد كل قطر عن الآخر ، واتساع الشقة بين البلاد التى تتكلم العربية ، وكثرة العوائق الطبيعية التى تحول بين

بعضها وبعضها الآخر ، لكن يجب ألا نظن أن من السهل أن يفهم أهلُ الموصل أهلَ مراكش ، أو يفهم هؤلاء وأولئك سكان سيناء وبلاد العرب . وهناك فرق كبير بين اللهجات العربية الحالية واللغة العربية القديمة . وليس هناك لهجة عربية حية تشبه اللغة العربية القديمة كل الشبه .

وقد كان لتلك اللهجات العربية الصغيرة أثر فى اللغة الأدبية القديمة ، لغة الشعر والأدب . وكما تأثر بها الشعر تأثرت بها الأغانى فى الجهات المختلفة . وإذا استثنينا شعر أهل مالطة وجدنا أن الشعر العربى متأثر وخاضع لتأثير اللغة العربية القديمة .

وبالأغانى الشعبية والمواليا (المواويل) وقصص العجائز — يمكننا أن نرى بالضبط نوع اللهجة العامية وصورتها . وكثيراً ما تتفق مع قواعد اللغة العربية القديمة . ومن الصعب الحصول على كتب ثمينة قديمة باللغة العامية .

وفى السنوات الأخيرة حاول المصلحون رفع اللهجة العامية المصرية وإصلاحها حتى تصلح للكتابة العلمية والأدبية ، ونرجو أن تتوج هذه المحاولة بالنجاح . ومن الممكن إصلاحها إذا عممنا التعليم ، وصار الشعب مثقفاً ، واعتاد الأطفال التحادث باللغة

العربية السهلة منذ الطفولة ، فى البيت والمدرسة ، وفى الشارع والأماكن العامة . على أن إصلاح العامية قد يكون ممكنا إذا علمنا أن العامية ما هى إلا عربية محرفة ، دخلتها طائفة كبيرة من الألفاظ الأعجمية . وليس من الممكن أن يرفعها الإصلاح المنشود إلى لغة الأدب الرفيع ، ولكن الذى نرجوه أن تقترب هذه اللغة بقدر الإمكان من لغة الأدب والشعر ، حتى لا يصدم المتعلمون بلغتين تناهض كل واحدة منهما الأخرى .

المحاضرة الخامسة
ثروة اللغة العربية وجمالها

ثروة اللغة العربية :

إن نظرة واحدة إلى معاجم اللغة العربية تدلنا على أن اللغة العربية غنية ، وغنية جدا ، بألفاظها وتعبيراتها ، وما فيها من مفردات ومترادفات . ولا عجب ؛ فاللغة العربية تتألف من ثمانين ألف مادة ، والعلماء يقولون إن المستعمل منها عشرة آلاف . ومن الواجب أن نشكر لأصحاب هذه المعاجم ما قاموا به من مجهود عظيم يستحق الإعجاب والتقدير ، من كل من ينطق بتلك اللغة ، وإن كان مجهودهم لم يستوعب كل ألفاظ اللغة .

ويزداد إعجابنا بثروة اللغة العربية القديمة ، إذا تذكرنا مقدار السهولة فى الحياة والمعيشة عند العرب القدماء ، وتذكرنا أنهم كانوا يعيشون فى صحراء ، كان مستوى المعيشة فيها محدوداً ، ومحدوداً جدا . وربما كان لتلك البيئة أثر فى أن أفكارهم كانت محدودة فى العصر الجاهلى ، قبل أن يتأثروا بغيرهم ، ممن اتصلوا بهم ، قبيل ظهور الإسلام ، وبعد انتشاره فى كل الأقطار . ومع

هذا نجد أن فى اللغة العربية ثروة دونها كل ثروة ، وأن المعنى الواحد يمكن التعبير عنه بكثير من الأساليب ، من كلام العرب وتعبيراتهم ، كما سنبين فيما بعد بالأدلة القاطعة .

وقد انتفع علماء اللغة بما اقتبسه الشعراء من الألفاظ فى شعرهم ومن طرق الاستعارة والمجاز والكناية التى أكثروا استعمالها فى قصائدهم .

وفى الأدب العربى القديم فن من فنون الشعر هو الهجاء ، وقد أكثر الجاهليون من قوله ، وساعدهم فى إنشاده بتلك الكثرة طبيعة الحياة والبيئة ؛ فأضافوا إلى المعجم العربى كثيراً من التعبيرات التى اخترعوها ، والألفاظ التى ابتكروها . وقد اختفى الآن معظم هذا النوع من الشعر ، فلا تجد اليوم شاعراً يهجو ، أو يمضى وقته فى الهجاء الشعرى .

ومع أن علماء اللغة لم يدونوا فى معاجمهم إلا الألفاظ التى كثر ورودها ، وشاع استعمالها بين جميع القبائل ، وتركوا الألفاظ القليلة الورود ، أو التى وردت من حين لآخر ، ولم يكثر تداولها إلا بين قبائل خاصة — مع هذا نجد أن اللغة العربية غنية بمفرداتها وأساليبها . وسيبقى المعجم العربى على الدوام مرجعاً

هامًّا لتوضيح العبارات الغامضة فى جميع اللغات السامية الأخرى إذا راعى الباحث الاحتراس والدقة .

فاللغة العربية بثروتها فى أصول الكلمات ، وبما فيها من ضروب الاشتقاق والمجاز والاستعارة والكناية ، تصلح للأغراض العلمية والأدبية . فهى لغة العلم والأدب . ومن السهل أن تكتب بها ما تشاء ، وأن تترجم إليها ما تشاء . وبالاشتقاق نستطيع أن نعبر باللغة العربية الصحيحة عما لدينا من الأفكار الجديدة ، أو المخترعات الحديثة ، أو المصطلحات العلمية ، بألفاظ وعبارات مختصرة واضحة ، فمثلا يقال :

غفَره أى سَتَره . وغفَر الله ذنبه : عفَا عنه . وغَفْرا ، وغفرانا ، ومغفِرة ، واستغفره من ذنبه ، واستغفره إياه : طلب منه المغفِرة . والغَفُور والغَفَّار : من صفات الله تعالى . والمستغفِر : من يطلب المغفِرة : وجاءوا جَمًّا غفيراً ، وجَمَّ الغفير ، والجمَّ الغفيرَ : أى جميعاً ، شريفهم ووضيعهم ، لم يتخلف أحد ، وكانت فيهم كثرة .

ويقال : كمَلَ ، وكمُل ، وكمِل كمالا ، وكمُولا ، فهو كامل وكَميل وتكامَل ، وتكمَّل ، وأكملَه ، واستكملَه ، وكمَّلَه : أتمَّه ، وجمَّله . وأعطاه المالَ كمَلاً أى كاملا . والمستكمِل : من يطلب الكمال .

والمِكْمَل : الرجل الكامِل للخير والشر . والتكامُل ، والتكمّل ، والإكمال ، والاستكمال ، والتكميل كلها مصادر .

ولقد أعجب المستشرقون بثروة اللغة العربية ، وكلماتها التى لا حدَّ لها ، واعترفوا جميعاً بثروتها فى ألفاظها ومترادفاتها . وقد سمى القاموس قاموساً محيطا لأنه عميق مملوء بكثير من الجواهر الثمينة التى تخفى على الطالب المثابر ، والبحاثة المجد .

يقول (رِينَان) : « إن لغويا من العرب كتب فى متن اللغة رسالة ذكر فيها خمسمائة اسم للأسد » . وكتب آخر مائتى كلمة عن الثعبان . وقد قيل : إن الفيروزابادى كتب رسالة عن العسل ، وتركها من غير تكملة ، بعد أن ذكر ثمانين مترادفا لتلك الكلمة . ويقـال : « إن فى اللغة العربية أكثر من ألف كلمة مختلفة مرادفة لكلمة « سيف » . وإن (دى هَامَر بيرجْستول [1]) المستشرق الألمانى قد أحصى الكلمات التى تتعلق بالحَمَل فى أدب اللغة العربية فوجدها تبلغ ٥٧٤٤ كلمة .

فاللغة العربية حافلة بثروة لغوية عظيمة . ويكفى دليلا على صحة هذه الدعوى أن فى المهجور من ألفاظها سبعين ألف مادة لم تستعمل إلى اليوم . ذهب إلى ذلك المرحوم العلامة أستـاذنا

---

(١) De Hammer Burgstoll

الشيخ أحمد الإسكندرى ، وقد كان فيما وضعه من أسماء الجواهر والفلزات فى المؤتمر الطبي ببغداد قبيل وفاته دليل آخر على أن اللغة العربية تشتمل على كنوز ثمينة من المفردات ، وإن كانت هذه اللغة لا تواتى بعض حاجة المخترعين فليس العيب فيها ، وإنما العيب واقع على أبنائها الذين أهملوها ، ولم يفتشوا عن ثرواتها الضخمة فى كل علم وفن .

وليست اللغة العربية غنية فى مفرداتها فحسب ، ولكنها غنية فى صيغ قواعدها أيضاً ، وإن نظرة واحدة إلى صيغ جمع التكسير وصيغ المصدر ، واسم المصدر تدلنا على أن فى اللغة العربية ثروة لفظية لا تحد .

وقلما تمكننا القصائد الشعرية من تكوين فكرة واضحة عن لغة المحادثة ، لغة الحياة العادية عند العرب ، فالشعر العربى يختلف عن النثر : لأن فى الشعر ميلاً خاصا إلى الصناعة والتأنق ، ومراعاة الوزن والقافية. أما القرآن الكريم فهو تنزيل من حكيم حميد ، ولا يمثل اللغة العربية فى الشكل الذى كان يستعمل فى المحادثة ؛ فهو فوق لغة البشر ، لا يستطيع أحد أن يأتى بمثله مهما أوتى من الفصاحة والبلاغة .

والحق أن لغة المحادثة عند العرب تظهر فى النثر العربى القديم

من الخطب القديمة ، والأحاديث الشريفة ، وأقوال الخلفاء الراشدين ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ، وتاريخ الغزوات الحربية فى العصر الجاهلى ، وفى المدة الأولى من صدر الإسلام . فهذه كلها من أحسن النماذج لأسلوب النثر العربى القديم .

وبالموازنة بين اللغة العربية وأى لغة أخرى من اللغات السامية الشمالية أو الجنوبية يمكننا أن نقول : إن اللغة العربية أغنى تلك اللغات جميعها ، ولا تقل فى ثروتها عن اللغة اللاتينية أو الإغريقية قديماً ، ولا تقل عن الإنكليزية أو الألمانية أو الفرنسية حديثاً ، بل إننا لا نكون مبالغين إذا قلنا : إن اللغة العربية من حيث المفردات تفوق جميع اللغات الحية ، وتمتاز بضروب كثيرة من أسباب النمو التى منها : الاشتقاق والمجاز .

وإذا تأملنا قواعد النحو فى اللغة العربية وجدناها منظمة مرتبة منطقية ، فلكل أداة شرط جواب ، ولكل فعل فاعل ، ولكل مبتدأ خبر . وللفاعل موضع خاص فى الجمل ، وللمفعول به موضع معين ، والفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب ، والمضاف إليه مجرور دائما .

وإذا كانت الأفكار واضحة فى نفس الكاتب أو الخطيب

أو المؤلف ، فمن السهل جدا أن يعبر عنها بكثير من العبارات العربية الصحيحة .

يقول « نُولْدِكَه» المستشرق الألمانى الكبير : « إن من الخطأ الشائع أن نظن أن اللغة العربية فقيرة لا تصلح لبحث الأمور المعنوية ؛ فعلى العكس يندر أن نجد لغة أخرى كاللغة العربية تصلح لأن تكون وسيلة للتعبير عن الفلسفة القديمة ، وأصول حكمة الأولين » .

وقد صدق « نُولْدِكه » فيما قال : فقد وسعت اللغة العربية كل ماترجم إليها فى العصر العباسى من الفلسفة والحكمة ، والطب ، والكيمياء ، والمنطق ، والفلك ، وكثير من العلوم الأخرى . وبهذا صارت اللغة العربية صاحبة السيادة العلمية والفلسفية والأدبية والدينية فى ذلك العصر .

ولدى البدو القدماء ميل بفطرتهم لاستعمال الأمور المعنوية أو المجردة . وقدكان لهذا الميل أثر كبير فى التعبيرات اللغوية عن الأمور المعنوية . ومن السهل أن تترجم إلى اللغة العربية فى العصر الحاضر أى كتاب علمى أو فلسفى إذا كنتَ على علم دقيق بأصول العربية ، واقفا على أسرارها ، متأدبا بآداب اللغة التى تترجم منها .

ولله دَرُّ المرحوم حافظ إبراهيم بك شاعر النيل حيث قال في قصيدته :

لسان حال اللغة العربية

وسعتُ كتابَ اللهِ لفظاً وغايةً
وما ضِقتُ عن آيٍ به وعِظَاتِ
فكيف أَضيق اليومَ عن وصف آلةٍ
وتنسيق أسماءٍ لمخترَعاتِ ؟
أنا البحرُ فى أحشائه[1] الدرُّ كامنٌ
فهل سألوا الغوَّاصَ عن صَدَفاتى ؟
فيا ويْحَكم أبلَى وتَبلَى محاسنى
ومنكم — وإن عَزَّ الدواء — أُساتى
فلا تَكِلونى للزمانِ فإننى
أخافُ عليكم أن تحينَ وفاتى

* * *

سقَى اللهُ فى بطن الجزيرةِ أعظُماً
يَعزُّ عليها أن تلينَ قناتى[2]

---

(١) أعماقه . (٢) رمحى .

حفظنَ ودادى فى البِلى وحفظتُه
لهنَّ بقلبٍ دائم الحسراتِ

وفاخرت أهلَ الغربِ والشرقُ مُطرقٌ
حياءً — بتلك الأعظُمِ النخِراتِ [١]

أرَى كلَّ يومٍ بالجرَائد مَزلقاً [٢]
من القبرِ يُدنينى بغيرِ أَنَاةِ

وأسمعُ للكُتَّاب فى مِصر ضجةً
فأعلمُ أنَّ الصائحين نُعاتى [٣]

أيهجرنى قومى عفا الله عنهمُ
إلى لغةٍ لم تتصلْ برواةِ ؟

إلى معشر الكتاب والجمع حافلٌ
بسطت رجائى بعد بسطِ شكاتى

فإما حياةٌ تبعثُ الميْت فى البلى
وتنبت فى تلك الرموسِ [٤] رُفاتى

وإمّا مماتٌ لاقيامةَ بَعده
مماتٌ لعمرى لم يُقَس بممات

---

(١) البالية . (٢) هفوة . (٣) الناعى : الذى يأتى بخبر الموت .
(٤) الرمس : تراب القبر .

يقول « إرْنِسْت رِينان » المستشرق الفرنسى : « إنّ مما يثير عجبى أن لغة كاللغة العربية قد نشأت فى بلاد صحراوية كبلاد العرب — تصل إلى درجة الكمال فى خيـام البدو » . ورينان معروف بشدة تعصبه ، وهو ضد العرب والساميين ، ومع ذلك قد اعترف بأن اللغة العربية لغة غنية ، صالحة للتعبير عن الأفكار الدينية والفلسفية والعلمية بطريقة لا وجود لها فى أى لغة أخرى ، فهى تفوق أخواتها من اللغات السامية فى ثروتها اللفظية ، وفى تركيباتها المنطقية فى القواعد .

كانت اللغة العربية غنية بألفاظها وعباراتها قبل الإسلام ، فلما نزل القرآن الـكريم ، وانتشر الدين الإسلامى فى القرنين : السابع والثامن الميلاديين ، اتسعت ثروة هذه اللغة ، وأكسبها القرآن الـكريم حياة جديدة ، وظهر جمالها فى كل بلد أشرقت فيه شمس الإسلام . فكان للقرآن أثر فيها من الناحية اللغوية بزيادة مفرداتها ، وأما من الناحية الأدبية فقد أفاض عليها جمالا فنيا ، وبيانا سهلا مؤثراً ، وأما من الناحية العلمية فقد أحدث فيها علوما لسانية وبيـانية وتشريعيـة من نحو وصرف وبلاغة ، وفقه وأصول .

وقد ظلت اللغة العربية حاملة لواء العـلم حقبة طويلة من

التاريخ تنتهى بانتهاء القرون الوسطى ؛ لأنها فى هذا الزمن كانت لغة العلماء . وكان للقرآن الكريم أكبر الأثر فى المحافظة على هذه اللغة فى تلك العصور . وكان للشعراء والأدباء واللغويين نصيب آخر فى المحافظة على تلك اللغة : قواعدها ومعاجمها ، وآدابها وتاريخها فى القرون الوسطى : فقد حافظوا على اللغة العربية القديمة ، ولم يستعيروا شيئا من اللغة العامية المنتشرة بين العامة وغيرهم .

ولما فتح العرب بلاد الفرس بين (٦٤٠ — ٦٥١ م.) اعتنق الشعب الفارسى الدين الإسلامى ، وحلت اللغة العربية محل اللغة الفارسية . فصارت لغة الدولة الرسمية ، ولغة العلم والأدب . ولا يستطيع الإنسان أن يمر على هذا الحادث العظيم فى التاريخ اللغوى للغة العربية من غير أن يذكر شيئاً من نتائجه .

ويسرنا أن نقتبس ما ذكره « نُولْدِكَه » فى هذا الشأن حيث يقول : « إن اللغة اليونانية لم تؤثر فى الحياة الفارسية إلا تأثيراً سطحيًّا ، ولكن العربية قد أثرت فيها كل التأثير : فتدينت إيران بالدين العربى ، والأخلاق والعادات العربية » .

لم تصل إلينا اللغة العربية بجميع أوضاعها اللغوية ، وقد عجز الرواة عن رواية كل ما أنشأه العرب من شعر ونثر ؛ ولذلك جاءنا

قُلٌ من كُثر . ومع ذلك فقد كان فى هذا القليل ثروة أدبية ضخمة ؛ فقد دون المتأَخرون ما تلقوه ، وما سمعوه من الثقات من الرواة عن أيام العرب وأخبارهم ، وأمثالهم وأشعارهم ، فبلغ ذلك ما بلغ من الأسفار حتى تجاوزت دوائر العَدِّ والحصر . وقد ذهب كثير من شعرهم ولغتهم وأخبارهم بذهاب الرواة ، وبقى فى صدورهم ولم ينقل ، وأخذوا فى أكفانهم كثيراً من علوم العرب وفنونهم حيث لم يجدوا من يطبع لهم تلك الذخائر فيحفظها ويصونها لهم [1] .

وكان لكل شاعر عربى راوية يحفظ عنه ما يقول ذلك الشاعر وما ينشده حين يصول ويجول . وكان كل راوية من الرواة يحفظ من القصائد والأراجيز ، وفنون الشعر ، ما يفوت العد والحصر . قال الأصمعى وهو من متأَخرى الرواة : « ما بلغت الحُلُم حتى رويت اثنى عشر ألف أرجوزة للأعراب » .

وكان خلف الأحمر أروَى الناس للشعر ، وأعلمهم بجيده . ولا يكاد يمترى أحد فى أن العرب كانوا أحفظ الناس ، حتى أن

---

(١) قال أحد العراقيين :

وأخذت فى كفنى علوماً لم أجد ... من يحفظن حقوقها ويصون

ورقيق أسرار جعلت لها الحشا ... مستودعا هى فى الدفين دفين

الهمذانى ادعى فى كتاب « الوشى المرقوم » أنه لم يصل أحد إلى أخبار العرب والعجم إلا بالعرب [1] .

وفى مقدمة « أقوم المسالك » بتصرف أن الآداب كانت قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم ، تؤدى بلغتين : الحميرية فى اليمن ، والقرشية فى الحجاز . وباللغة الثانية لغة قريش جاء القرآن الكريم ، ولم تدخل العجمة فى اللسان إلا بدخول الأمم المختلفة فى الإسلام ، وتطاول السنين . ولا يخفى ما فى اللغة العربية من اتساع وسعة فى المجال ، لا سيما فى الأشياء التى تتصل بمعيشتهم فى البادية ، أو تتكرر رؤيتهم لها ، أو تكثر حاجتهم إليها ؛ فقد يكون للشىء الواحد عدة أسماء بمراعاة تعدد أحْواله وصفاته .

وبكثرة الترادف عند العرب اتسعت لهم دائرة الشعر ، فللعَسل ثمانون اسماً ، وللثعبان مائتان ، وللأسد خمسمائة ، وللجمل ألف ، وللسيف ألف كذلك ، وللداهية أربعة آلاف اسم . ولا شك أن استيعاب مثل هذه الأسماء يستدعى حافظة واعية ، وذاكرة قوية . وللعرب من قوة الحافظة والذاكرة ، وحدة الفكر ما لا يستطيع أحد أن ينكره . ومن مشهوريهم حماد الراوية

---

(١) ارجع إلى كتاب « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » للسيد محمود شكرى الألوسى البغدادى ص ٣٩ ، جـ ١ الطبعة الثانية . المطبعة الرحمانية (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م)

الذى ذكر يوماً للخليفة الوليد أنه ينشد له فى الحال مائة قصيدة، وكل قصيدة من عشرين إلى مائة بيت، فتعب المستمع قبل أن يتعب المنشد [١].

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الشعر علم قوم، ولم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب فى الأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يرجعوا إلى ديوان مدوَّن، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك. وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقلَّ ذلك، وذهب عنهم كُثرُه.

وقال أبو عمرو بن العلاء : «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلُّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير».

وعن حماد الراوية قال : أمر النعمان بن المنذر فنسخت له أشعار العرب فى الكراريس، ثم دفنها فى قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبى عبيد الثقفى قيل له : إن تحت القصر كنزاً، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار. فمن ثَمَّ كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة.

(١) نقل ذلك عن تاريخ دروى وزير المعارف بفرنسا.

ولما كنا قد قررنا لك أن اللغة العربية من أغنى اللغات كلماً ، وأوسعها عبارات وأمثالاً وحكما فإننا سنضع أمامك فصولاً صغيرة ، فى نواحٍ متعددة من المعانى ، مراعين الاختصار فيما نقول ، وقد اخترنا هذه الأمشاج من الجزء الثانى من كتاب « نجعة الرائد وشرعة الوارد » لليازجى ، يقول :

١ — فى العلم والعلماء :

يقال فلانٌ من ذوى العلم ، ومن حَمَلةِ العلم ، ومن أولى العرفان ، ومن العلماء المحققين ، ومن ذوى البسطة [١] فى العلم . وإن فلاناً لعالمٌ علاّمة ، وعالم نِحْرِير [٢] ، وعالم فاضلٌ ، وهو من صدور العلماء وأعلامهم ، وأفاضلهم وفحولهم . وهو عالم أمتِه ، وإمام وقته ، وعالم عصره ، وهو علاّمة العلماء ، وعميدهم ، وعمْدَتُهُم ، وإمامهم وقدوتهم .

وتقول : فلان بحر العلم الزاخر ، وبدر العلماء الزاهر ، وكوكبهم اللامع ، ونِبراسهم [٣] الساطع .

ويقال : تَضَلَّعَ [٤] فلانٌ من العلم ، وتبَحَّر فيه ، وتعمَّق ، وأَوْغَلَ [٥] فى البحث ، وأمْعَنَ فى التنقيب ، وتَقصَّى فى التدقيق .

(١) التوسع . (٢) حاذق متقن . (٣) مصباحهم . (٤) امتلأ . (٥) أبعد .

وقد اسْتَجْلى غوامضَ العلم ، وخاضَ عُبابه [١] ، وأحصى مسائله ، واسْتَقْرَى [٢] دقائقه ، واستخرج مخبّآته ، ومَحَّص [٣] حقائقه ، ووقف على أغراضه ، وجمع أشتاتَه ، واستقصى أطرافه ، وأحاط بأصوله وفروعه .

وهو حُجَّة فى علم كذا ، وإمامٌ فى علم كذا ، وهو عالم فنِّه ، وواحدُ فنِّه ، وهو من ثِقات هذا العلم ، وهو فيه راسخُ القدمِ ، طويلُ الباع ، غزير المادة ، واسع الاطلاع . وإنه لبحرٌ لا يُسْبَر [٤] غَوْرُه ، ولا يُنال دَرَكه [٥] ، وهو إمام عصره غيرَ مُدافَع ، ورئيس فنِّه غير مُعارَض .

ويقال : فلان من طلبة العلم ، وانقطع لطلبه ، وخلاَ لطلبه ، وتخَلَّى له ، وقصَر عليه نفسَه ، ووقف عليه جهدَه ، وقد نبغ فيه . وخَرَّجه [٦] فلان ، وتخرَّجَ على فلان ، وهو خِرِّيجه [٧] . وقد حذَق علم كذا ، ومَهرَه ، ومهر فيه ، وأتقنه وأحكمه ، وملك عِنانَه [٨] ، وملك قيادَه [٩] ، وتوفَّر حظه منه ، وأخذ منه مكانه ،

---

(١) معظمه . (٢) تتبع . (٣) خلص . (٤) لا يقاس عمقه . (٥) نهايته .
(٦) أى دربه ومرنه . (٧) أى تلميذه الذى تخرج على يديه .
(٨) من عنان الفرس ، وهو : سير اللجام . (٩) من قياد الدابة وهو رسنها .

وبلغ منه موضعاً جليلا ، وأصبح ممن يرمى بالأبصار ، ويشار إليه بالبَنان[1] .

وتقول : طلبت العلم على فلان ، ووقفت فيه على فلان ، ودرَسته عليه ، وحصَّلته عليه ، وأخذته عنه ، واقتبسته عنه ، وتلقيته عنه ، وتَلَقَّنْتُه منه ، وقد تأَدَّبت عليه ، وتخرَّجت عليه ، وسمعت عليه كتاب كذا ، وقرأت عليه علمَ كذا .

وهو مُوَفِّقى ومدرسى ، ومؤدِّبى ومخرِّجى ، وشيخى وأستاذى . وقد استضأْت بِمشكاتِه[2] ، واستفدت منه علماً ، واقتبست منه علماً ، وحملت عنه علماً كثيراً[2] .

٢ — فى الأدب :

يقال : فلان أديب فاضل ، بارع مُتَفَنِّنْ ، غزير الأدب ، واسع الرِّواية ، واسع الاطلاع .

وإنه لكاتب مُجِيد ، وشاعر بليغ ، بليغ العبارة ، لطيف الكنايات ، بديع الاستعارات ، حُلو المجاز ، مُستملَح السجع ، مُستعذَب النظم .

(٣) أطراف الأصابع . (٤) بمصباحه . (٥) ارجع إلى كتاب «نجعة الرائد وشرعة الوارد» لليازجى ج ٢ طبعة مطبعة المعارف ١٩٠٥ ص ٢ — ٦ .

وإن له نثراً آنَقَ من النَّوْرِ[١] فى الأكمام[٢] ، وسجعاً[٣] أطرب من سجع الحمام ، ونظماً أحسن من الدُّرِّ فى النظام . وإن ألفاظه الزُّلالُ أو أرقُّ ، ومعانيَه السحر أو أدقّ . إذا تكلم مَلَك الأسماع والقلوب ، وإذا أخذ القلم تدفَّق تدفُّقَ اليَعْبوب[٤] . وإنه لمتضَلِّع من فنون الأدب ، عارف بأخبار العرب ، بعيدٌ بمذاهب الكلام ، عليم بمواضع النقد ، وهو من خواصّ أهل الأدب وأئمتهم . وإن له اليدَ الطُّولى فى صناعة الأدب ، وله القِدْح المُعَلَّى فى صناعتى النظم والنثر[٥] .

٣ — فى الحفظ :

يقال فلان وَعِىٌّ ، سريع الحفظ ، واسع الحفظ ، قوىُّ الحافظة[٦] ، قوى الذاكرة ، قوى الذِّكر ، بعيد النسيان . وقد حفظ الكتاب واستظهره ، ووعاه على ظهر قلبه ، وأدَّاه عن ظهر قلبه ، وعن ظهر الغيب ، وقد ارتسم على لوح قلبه ، وانطبع على لوح حافظته ، وعَلِقَتْه حافظته ، ووَعَتْه ذاكرته .

وفلان غايةٌ فى الحفظ ، وهو آية من آيات الله فى قوة الحافظة ،

(١) الزهر . (٢) الأكمام جمع كم وهو غلاف الزهرة . (٣) تغريداً .
(٤) الجدول الكثير الماء . (٥) ارجع إلى نجعة الرائد ، وشرعة الوارد ، لليازجى ، ج ٢ ص ٦ ، ٧ . (٦) القوة التى تحفظ .

إذا تلا عن لوح قلبه فكأنما يتلو فى لوح مسطور :

وتقول فلان ضعيف الذاكرة ، بليد الذاكرة ، ضيِّق الحافظة ، قليل المحفوظ .

٤ — فى التأليف :

تقول : هذا كتاب نفيس جليل ، جامع ، غزير المادة ، جَمُّ الفوائد ، قريب المنال ، دَانِى القطوف[١] ، سهل الأسلوب[٢] ، عذب المَوْرِد ، ناصع البيان ، واضح التعبير ، تُدْرَك فوائده على غير مئونة[٣] ، ولا كَدِّ ذهن ، ولا جَهد فكر ، ولا إرهاق خاطر .

وقد تصفَّحت مؤلَّف كذا فإذا هو كتاب أنيق ، حسن ، فصيح الخُطبة ، حسن الديباجة : مُحكم الوضع ، متناسق التبويب ، مُطَّرِدُ الفصول ، وهو كتاب فريد فى فنه ، مبسوط العبارة ، مُسهب[٤] الشرح ، مُستوعِب[٥] لأطراف الفن ، قد استوعب أصول هذا العلم ، وأحاط بفروعه ، واستقصى غرائب مسائله ، ولم يَدَعْ آبِدَةً[٦] إلا قيَّدها ، ولا شاردة إلا رَدَّها إليه . لم يُصنَّف فى بابه أجمع منه ، وقد نُزِّه عن التعقيد والإشكال ، والإبهام

---

(١) جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف من الثمر . (٢) الطريقة .
(٣) كلفة . (٤) مطول . (٥) مستوف . (٦) مسألة شاردة .

واللَّبس ، واللَّغو(١) والحشو(٢) والرَّكاكة .

وتقول هذا مؤلف مختصَر ، وجيز وموجز ، مُدْمج التأليف ، مُحكم الحدود ، جَزْل التعبير ، قد لُخِّصَتْ فيه قواعد العلم أحسن تلخيص ، وحرِّرت مسائله أحسن تحرير .

وعليه شرح لطيف كافل ببيان غامضه ، وإيضاح مُبهمه ، وحَلِّ مشكله ، وتفصيل مُجمله ، وبَسْطِ موجزه ، وتقريب بعيده ، والكشف عن دقائق أغراضه ، ومكنون أسراره .

٥ — فى الفصاحة :

تقول : هذا كلام فصيح مُحَبَّر(٣) ، متخيَّر الألفاظ ، مُنتَقَى الأساليب ، مهذَّب اللفظ ، منَقَّح العبارة ، مُحكم السَّبك .

وهذا كلام عليه طابَع(٤) الفصاحة ، وعليه رَوْنق(٥) الفصاحة ، وقد خلعت الفصاحة عليه زخرفها ، وقد نُسِج على منوال(٦) الفصاحة ، وطبع على غرَار(٧) الفصاحة ، وكأنه الدُّرُّ المرْصوف(٨) ، واللؤلؤ المنْضُود .

---

(١) ما لا معنى له . (٢) مايزاد فى الكلام بغير فائدة .
(٣) منمق . (٤) أثرها وعلامتها .
(٥) من رونق السيف وهو : ماؤه وطلاوته . (٦) نول .
(٧) الغرار القالب يصنع الشيء على مثله . (٨) المنظوم .

وتقول فى التفصيل : هذا كلام فصيح جَزْل[١] ، فَخْمٌ متين الحبك[٢] ، محكم النسج .

وفلان مطبوع على جزالة الألفاظ ، وفخامة الأساليب — ويقال : هذا كلام رقيق عَذْب ، سائغ سهل ، رشيق ، سَلِسٌ ، رخيم الحواشى ، رقيق الحواشى ، خفيف على السمع ، سهل على الألسنة ، حسن الانسجام ، يدخل الآذان بلا استئذان ، يفعل بالألباب فعل السحر ، وتعشقه الأسماع لعذوبته .

وتقول فى ضد ذلك : هذا كلام غليظ فَظٌّ ، جاف نافر ، ثقيل على السمع ، ثقيل على الألسنة ، تمُجّه[٣] الأسماع ، وتنبو[٤] عنه الآذان .

وتقول : هذه لغة مهجورة ، وألفاظ متروكة ، وإنها لَلُغة وحْشِيَّة ، ولغة حُوشِية .

وتقول : هذا كلام ركيك ، سخيف ، سقيم ، ساقط ، مبتذَل ، سُوقىّ الألفاظ ، لم يُحكِمه طبع ، ولم يُعنه ذوق ، وليس عليه للفصاحة ظل ، وليس عليه للجزالة رَوْنَق[٥] . وإنه لكلام تمُجّه الأذواق السليمة ، وتقتحمه[٦] الملكات الراسخة ، وهو مما لاكَتْه[٧] الأفواه حتى مجّته .

(١) خلاف الرقيق . (٢) النسيج . (٣) تقذفه وتلفظه .
(٤) تصد وتعرض . (٥) طلاوة . (٦) تزدريه . (٧) مضغته .

وتقول فى وصف متكلم : رجل فصيح لَسِنٌ مفَوَّه ، فصيح اللفظ ، فصيح اللسان ، فصيح المنطق ، حُرّ الكلام ، جزل الخطاب ، بيِّنُ اللهجة ، حَسَن السبك ، سليم الذوق ، لطيف الذوق ، بصير باختيار الألفاظ ، عليم بمواقع الكلم ، يتخير من الألفاظ أحسنها مسموعاً ، وأقربها مفهوماً .

وإنَّه لا يُعلَم أفصح منه منطقا ، ولا أبين عبارة ، قد أنزلت الفصاحة على لسانه ، وأعطته الفصاحة قيادها ، وهو أفصح من نطق بالضاد ، وأفصح من سحبان (١) وائل .

٦ — فى البلاغة :

يقال : هذا كلام بليغ ، مُشْرِق المعانى ، مُتلَائم الأطراف ، مُتَنَاسِق الأجزاء ، آخِذٌ بعضه بأعناق بعض .

وتقول : هذا كلام بالغ حد الإعجاز ، وإنه لكلام يملك القلوب ، ويَستَرِقُّ الأفهام ، ويَسْتَعْبِد الأسماع — وهو عنوان البيان ، وآية البراعة ، تتمثَّل البلاغة فى كل فِقرة من فِقَره ، تكاد تدركه الأفهام قبل الأسماع .

---

(١) هو رجل من باهلة يضرب به المثل فى الفصاحة ، وكان من خطبائها وشعرائها . قيل إنه خطب فى صلح بين حيين نصف يوم فما أعاد كلمة .

وتقول فى ضده : هذا كلام غَثٌّ(١) ، سقيم ، فاسد المعانى ، مُضطرِب المبانى(٢) ، قَلِق التراكيب ، مُخْتَلُّ الأداء ، بَادِى التكلف ، قد فَشَتْ فيه الركاكة والخلط واللَّغو . وإنه لكلام مُبهَم مُغْلَق مُعَقَّد ، ينبو(٣) عنه الفهم ، وتحار فيه البصائر ، وتعرِض عنه القلوب ، لا يَشِف ظاهره عن باطنه ، وإنما هو ألفاظ مسرودة ، وجمل متقطعة ، مُتنافِرة اللُّحمَة ، سقيمة المعانى ، مُلْتبِسة التعبير ، كأنها ضرب من المُعَمَّيَات ، وكأنها رَطانة الأعجام .

وتقول فى وصف المتكلم : رجل بليغ الكلام ، بليغ العبارة ، رصين التعبير ، واضح الأسلوب ، مُشرِق الدِّيباجة ، يضع لسانه حيث شاء ، ويبلغ بكلامه كُنْهَ القلوب ، سُخِّرَتْ له الألفاظ ، وأُتِىَ فصل الخطاب(٤) .

هو من أمراء الكلام ، إذا افتَنَّ فَتَنَ الألباب ، وسحر العقول ، وخَلَب الأسماع . وإن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ، وإن كلامه العَسَل أو أعذب ، وإن بيانه السحر أو أغرب ، وإن كلامه أنْدَى على الأفئدة من زلال الماء ، وإنه لآية من آيات الله فى بلاغة التعبير ، وهو أبلغ من الجاحظ ، وأبلغ من قس بن ساعدة .

---

(١) لاطلاوة عليه .   (٢) الألفاظ .   (٣) يرتد .

(٤) القول الفاصل بين الحق والباطل .

وتقول فى خلاف ذلك: فلان عَيِيٌّ، وعَيٌّ وفهٌّ، وعَيِيُّ اللسان، حَصِرُ اللسان، كَلِيلُ الذهن، بليد الطبع، جامد القريحة، خامد الفكرة، مُظلِم العبارة، مُنْحَطٌّ عن مقامات البلغاء، قد ملكت لسانَه الركاكة، وملك ذهنَه العِيُّ. وإن به لعِيًّا فاضحا، وهو أعيا من باقل[1].

٧ — فى الخطابة:

يقال: فلان خطيب مِصْقَع[2]، قوىُّ العارضة[3]، فسيح الباع، بعيد الغاية، طَلْق البديهة، سَمْح القريحة، حسن البيان، ناصع البيان، عَذْب المنطق، خَلَّاب المنطق، رفيع الصوت.

وإنه لفصيح بليغ، طليق اللسان، سريع الخاطر، ثَبْت[4] البديهة، حاضر الذهن[5]، كأنما يتلو عن ظهر قلبه، لا يَتَلَكَّأُ[6] فى منطقه، ولا يتلجلج ولا يَتَلَعْثَمُ، ولا يتوقَّفُ، لا تناله حُبْسة[7]، ولا ترهقه[8] عُقْلة[9]، تجرى الفصاحة بين شفتيه، وتجرى البلاغة

---

(١) رجل من بنى إياد، اشترى ظبياً بأحد عشر درهما، فعرضه على منكبيه، وأمسكه بيديه من الوراء. ولما كان فى بعض الطريق سئل: بكم اشتريت هذا الظبى؟ فأشار بأصابعه العشر، ومد لسانه؟ كناية عن الأحد عشر. فأفلت الظبى، ولحق بالصحراء. (٢) بليغ. (٣) البيان. (٤) ثابت.
(٥) ارجع إلى نجعة الرائد، ج ٢ ص ١٣ — ٢٠. (٦) يتوقف.
(٧) احتباس منطق. (٨) تدركه. (٩) حبسة.

بين لسانه وفؤاده ، إذا تكلم تَحَدَّرَ تَحَدُّر السيل ، وتَدَفَّق تَدَفُّقَ اليعبوب [١] ، وملأ الأسماع والقلوب .

وإن فلانا صادق الفِراسة بما فى الضمائر ، كأنه اطلع على ما تُـكِنُّ [٢] أَحْنَاء [٣] الضلوع ، وكأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، وقد فَجَّر الله ينابيع الحكمة على لسانه ، وتَدَفَّقَتْ سُيُول البلاغة على لسانه ، إذا أفاض فى كلامه مَلَكَ أَعِنَّة [٤] القلوب ، وقوَّم زَيْغَ [٥] النفوس ، وخشعت له الأبصار ، وسكنت الجوارح [٦] ، وخَفَقَت الأفئدة ، وطارت النفوس خَشْيَةً ورِقة .

ويقال فى الذم : فلان مُتَشدِّق [٧] ، ثَرْثَار [٨] ، غَثُّ المنطق ، تَفِه [٩] الكلام .

إذا تكلم انصرفت عنه الوجوه ، وأعرضت عنه القلوب ، وانقبضت منه الصدور ، وسَئِمَتْه النفوس .

٨ — فى الكتابة والإنشاء :

يقال : فلان كاتب مُجيد ، بارع مُتَأَنِّق ، مُتَفَنِّن ، رَشِيق اللفظ ،

---

(١) النهر الشديد الجرى . (٢) تخفى وتستر . (٣) جمع حنو بالكسر وهو كل ما فيه اعوجاج من البدن . (٤) جمع عنان وهو سير اللجام . (٥) اعوجاج . (٦) الأعضاء . (٧) يلوى شدقه عند الكلام . (٨) كثير الكلام . (٩) لا معنى لكلامه .

مُنَمَّق العبارة ، بديع الإنشاء ، صحيح الديباجة ، حسن الترسُّل ، مصقول العبارة ، سهل الأسلوب ، ناصع البيان ، سليم الذوق ، مُتَفَنِّن فى ضروب الخطاب ، مقبول الإطناب ، بليغ الإيجاز ، قد أُنزِلت الفصاحة على قَلَمه ، وأنزلت البلاغة على فؤاده .

وإنه لمن أغزر الكُتَّاب مادة ، وأطولهم باعا ، وأوسعهم مجالا ، وأسرعهم خاطراً .

وإن فلانا لمن أكابر الكُتَّاب ، ومن الكتبة المجيدين ، مُتْقِن لأدوات الكتابة والإنشاء ، مُتَضَلِّع من علوم الأدب ، مُحِيط بأسرار البلاغة ، حافظ لأقوال الفصحاء ، وخطب البلغاء ، مُطَّلِع على أشعار العرب ، جامع للحِكَم المسطورة ، والأحاديث المنقولة ، لا يَغيب عنه شيء من طرائف الكلام ولطائفه ونوادره ، عارف بفصيح اللغة وركيكها ، عليم بأسرار اللفظ واشتقاقه ، وحقيقته ومجازه .

وإنه ليَتعهَّد[1] كلامه ، ويبالغ فى تنقيحه وتهذيبه ، لا ترى فى كلامه ركاكة ولا تعسُّفا ، ولا قَلَقا ولا تكلفا .

ويقال فى الذم : فلان من ضعاف الكُتَّاب ، سقيم العبارة ، ضعيف المَلَكة ، مُتَطَفِّلٌ على موائد الكَتَبة ، بعيد عن مذاهب

(١) يراجعه وينقحه .

البلغاء ، عَامِّىُّ اللفظ ، مُبتَذل التراكيب ، ضعيف النقد، سَيِّئُ اختيار الألفاظ ، لم يصافح راحة الأدب ، ولم يَرْتَضِع أخْلاف[1] الفصاحة ، وقد أَلِف مَضَاجِع الركاكة ، قَعَدَ به طَبْعُه عن مُجَارَاة البلغاء[2] .

٩ — فى الشعر :

يقال : فلان شاعر متفنن ، مجيد مُفْلِق[3] ، بليغٌ فحل ، بعيد الغاية ، رفيع الطبقة ، وهو شاعرُ عصره غيرَ مدافَع ، وشاعر مطبوع ، وهو من فحول الشعر ، ومن أمراء الشعر ، وزعماء القول ، جيد الشعر ، رصين الشعر ، مُنَضَّدُ[4] اللفظ ، مرصَّف[5] المعانى ، رائق الأسلوب ، رشيق اللفظ ، دقيق المعنى ، دقيق الفكر ، لطيف التخيُّل ، شريف المعانى ، ليس فى شعره تكلُّف ولا تعسُّف[6] ، ولا تعقيد ولا غموض ، ليس فيه حشو ولا لَغْو ، ولا ترى فى قوافيه قلقاً ولا ضعفاً ولا نفوراً .

ويقال : فلان من قالة الشعر ، وصاغة الشعر ، وصاغة القريض[7] ، وإن له شعراً صافىَ الديباجة ، كثير الطلاوة[8]

---

(١) جمع خلف بالكسر وهو للناقة كالضرع للشاة .
(٢) ارجع إلى نجعة الرائد ج ٢ ص ٣٠ — ٣٥ .
(٣) يأتى بالعجيب فى شعره . (٤) منسق . (٥) منسق .
(٦) أن يأتى المعنى من غير وجهه . (٧) الشعر . (٨) الرونق .

والظُّرف والبدائع ، وإن شعره ليتدفّق سلاسة ، يجول فيه رونق الحسن ، رائق النسيب ، حُلو التغزُّل ، حسن التشبيهات ، بديع الاستعارات ، لطيف الكنايات .

وفلان إذا رام نظم الشعر قامت الألفاظ فى خدمته ، وتلبَّبت[1] المعانى لدعوته ، ولا يزال يأتى بالبيت النادر ، والحكمة البليغة ، والمعنى البديع .

وإنه ليبتكر المعانى ويبتدعها ، وهذا معنى لم يسبق إليه ، ولم ينازعه فيه منازع .

وإن فلاناً لينظِم اللآلئ ، ويُسْكِرُ الألباب ، ويسحِر العقول ، ويخلُب[2] القلوب ، وكأن معانيه السحر البابلىّ ، وكأن كلامه قد صيغ من خالص النُّضار ، وإنه لشعرٌ حَرِىٌّ بأن يكتب على جبهة الدهر ، ويعلّق فى كعبة الفخر .

وهذا الشعر من قلائد فلان ، ومن فرائده ، ونفائسه ، وبدائعه وغرره وحسناته .

ويقال : نبغ فلان فى الشعر إذا أجاده ، وممن ينظم الشعر وينسجُه ، ويحوكه ويصوغه ، ويقرِضه ويلشه .

وإنه ليرتجل الشعر ويبتدِهُه ، ويقوله على البديهة ، وهذه

---

(١) تجمعت .　　　(٢) يخدع .

الأبيات من عفو[١] الساعة ، ومن فيض الخاطر ، وفيض القريحة ، وإنه لسريع الخاطر ، طلق البديهة ، فيّاض القريحة ، حاضر الذهن .

وتقول فى الذم : فلان شاعر ضعيف ، سخيف النَّظم ، مهلهل الشعر ، مقصِّر عن طبقة الفحول من الشعراء ، لا ملَكة عنده للنظم ، وليس فى سليقته الشعر .

وإنه متخلِّف الطبع ، سقيم الخاطر ، ناضب القريحة ، خامد البديهة ، صَلْد[٢] الخاطر .

وإنما هو شُوَيْعر وشُعْرُور ، ومتشعِّر ، رثّ الألفاظ ، قلق الأساليب ، سقيم المعانى ، مبتذَل المعانى ، فاسد التعبير ، كثير التكلف ، شديد التعمُّل ، وهو ينظم بالصنعة ، وإنما هو عَرُوضىّ ، وإنما هو مقطِّع أبيات ، ووزّان التفاعيل . وإنما هو وَزّان لا شاعر ، وإن شعره لتافه فى الذوق ، وإنه لجاف الكلام ، ليس على كلامه بِلَّة الفصاحة ، وليس على شعره طلاوة ولا حلاوة ، ولا رونق ولا رشاقة ولا بداهة ، ولا قدرة له على الاختراع ، ولا فضل فيه للاستنباط . ولا تكاد ترى فى كلامه إلا مترَّقعا[٣]

وتقول : هذه قصيدة عَائِرة[٤] ، وقافية شاردة .

---

(١) بما أخذ لحينه على غير كلفة . (٢) صلب . (٣) موضع إصلاح .
(٤) من قولهم عار الفرس يعير إذا ذهب على وجهه .

ويقال : هذه قصيدة من غُرَر[١] القصائد ، ومن محكم الشعر وجيده . وهذه قصيدة حذَّاء ، أو منقطعة القرين ، وهي من قلائد الشعر أي البواقي على الدهر . وهذه قصيدة حكيمة أي فيها كلام حكمة ، وهذا البيت فقرة هذه القصيدة ، أي أجود بيت فيها ، وهو بيت القصيد .

وتقول : هذه قصيدة من سفساف الشعر أي من رديئه .

وتقول : شعر فلان أحسن من حوليات زهير ، وأحسن من اعتذارات النابغة ، وحماسيات عنترة ، وهاشميات الكميت ، ونقائض[٢] جرير ، وخمريات أبي نواس ، وتشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبي العتاهية ، ورَوْضيَّات[٣] الصَّنَوْبريّ ، ولطائف كشاجم .

١٠ — في النقد :

يقال : نقدتُ الكلام وانتقدته ، وتدبرته ، وتأملته ، وتبصَّرته وميَّزته ، ونظرتُ فيه ، وأعملت فيه النظر ، وقلّبت فيه النظر ، وأنعمت فيه النظر ، وحككتُ معدنه ، وسَبرتُ[٤] غَوْرَه ، وعجَمْتُ عوده أي اختبرتُ صلابته .

---

(١) خيارها . (٢) التي ناقض بها الفرزدق في الهجاء .
(٣) قصائده في وصف الرياض . (٤) قست عمقه .

وفلان نقَّاد بصير من جهابذة [١] أهل العلم ، ومن ذوى البصائر النافذة ، صحيح النقد ، صائب الفكر ، ثاقب النظر ، دقيق النظر ، شديد التنقيب ، دقيق البحث ، بعيد الغَوْر [٢] ، يغوص على الحقائق ، ويكشف عن الغوامض ، خبير بمحاسن الكلام ومساوئه ، عليم بصحيحه وفاسده ، بصير بجيده وسَفْسَافِه.

وتقول : هذا كلام لا يثبت على النقد ، وإن فيه لمطعناً ومأخذاً ، ومَغْمَزاً ، وفيه موضع للنقد ، وموضع للقول .

وتقول : هذا كلام لم يصدر عن علم راسخ ، ولم يُمْلِه علم صحيح ، إنما هو ضَرْبٌ من الخَبْطِ أى التكلم على غيْر هُدى ، وهو بعيد عن جادة [٣] الصواب ، وإن بينه وبين الصواب مراحل .

وقد كان الوجه أن يقال كذا ، والصواب أن يقال كذا ، ولو قيل فى موضعه كذا لكان أسلم ، وكان أقرب إلى الصواب ، وكان هو الوجه ، وهو الصواب .

وتقول : هذا كلام قد حُصِّن [٤] عن نظر الناقد ، وإنه لكلام لا غبار عليه ، ولا وجه فيه للاعتراض ، ولا شبهة فيه لناظر ، ولا مطعن فيه لغامز [٥] ، ولا سبيل عليه لآخذ ، ولا معترض ولا طاعن ولا قادح .

---

(١) مفردها جهبذ بمعنى النقاد الخبير ، والكلمة فارسية معربة .
(٢) كناية عن التعمق فى الأمور . (٣) طريق .
(٤) لا شبهة عليه . (٥) عائب .

١١ — فى الجدل :

يقال : فلان جَدِل شديد المِراء[١] ، متين الحجة ، قوى الحجة ، ناصع البرهان ، سديد البرهان ، حاضر الدليل ، صحيح الاستدلال ، بصير بمواضع الحق ، واستنباط الأدلة .

وقد جادل خصمه ، وماراه [٢] . وناظره ، وباحثه ، وناقشه وحاجَّه .

وقد احتج على خصمه بحجة دامغة[٣] ، وجاءه بالدليل المفحم[٤] ، وأيد قوله بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والأدلة الواضحة .

وقد أفحم خصمه وأبكمه ، وقرَعه[٥] بالحق ، ودحض[٦] حجته وأدحضها ، وزيف [٧] برهانه .

وتقول : هذا هو الحق اليقين ، والحق المبين ، وقد سفَرَ الحق ، وحصحص [٨] الحق ، ووضَح الصبح لذى عينين .

وإنه لأمر لا مرية فيه ، ولا مراء فيه ، ولا ريب فى صحته ، ولا موضع فيه لشبهة ، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان ، وقد تناصرت عليه الحجج ، وقام عليه برهان العقل ، وصححه القياس ، وأيده الوجدان .

وتقول فى خلاف ذلك : فلان ضعيف الحجة ، ركيك البرهان ، واهن الدليل ، ضعيف البصيرة ، بليد الفكر ، خامل الذهن .

---

(١) الجدال . (٢) جادله . (٣) تدفع الباطل . (٤) المسكت .
(٥) رماه به . (٦) أبطلها . (٧) أظهر زيفه أى فساده (٨) ظهر وثبت .

وهذا قول مدفوع ، وقول مردود ، لا ينهض ولا يسمع ، ضعيف السند ، واهى الدليل ، بعيد عن شبَه الصحَّة ، ليس فيه شيء من الحق ، وليس عليه للحق ظل .

وهذا أمر ظاهر البطلان ، لا تعقَل صحته، ولا يقوم عليه دليل ، ولا تؤيده حجة ، ولا ينهض فيه برهان ، ولا يثبت على النظر .

وهذه حجة واهية ، وواهنة ، وإن حجته لأوهى من بيت العنكبوت ، وأوهن من شبح باطل . وتقول : هذه أدلة متعارضة ، وحجج متخاذلة ، وبينات متناقضة ، يصادم بعضها بعضاً ، ويجادل بعضها بعضاً ، ويقدح بعضها فى بعض ، ويدفع بعضها فى صدر بعض .

ويقال : فلان متعنت ، يمارى فى الباطل ، ويتحكم فى الجدال ، ولا تراه إلا معاندا أو مكابراً ، أو مغالطاً أو مشاغباً .

١٢ — فى حسن المنظر وقبحه :

يقال : فلان جميل المنظر ، جميل الخَلق ، حسن الصورة ، وضيء الطلعة ، صبيح الوجه ، مشرق الجبين ، وضَّاح [١] المحيَّا ، ظريف الهيئة ، بديع المحاسن ، معتدل الأعضاء [٢] .

ويقال فى ضد ذلك : هو قبيح المنظر ، بشع المنظر ، ذميم الخلقة ، مشوَّه الخَلْق ، جَهْم [٣] الوجه ، كريه الطلعة ، قبيح الهيئة .

---

(١) الأبيض الحسن اللون .

(٢) ارجع إلى نجعه الرائد ، ج ٢ ، ص ٤٥ — ٤٧ . (٣) كريه .

وهو أقبح خلق الله صورة ، وأقبح من الجاحظ ، وأقبح من القرد .

١٣ — فى الكبر والتواضع :

يقال: فلان متكبر، متعظم، متعجرف، مُتَغَطْرِف، متغطْرِس، منتفِخ، مختال .

وإنه لشديد الكبر ، والكبرياء ، والعجرفة ، والغطرفة ، والغطرسة ، والتيه، والخيلاء . وإنه لرجل مَزْهُوٌّ، معجَبٌ بنفسه ، فيه زَهْوة وعُجْب وإعجاب .

وتقول من الكناية : صعَّر الرجل [١] خدَّه ، ولوى شِدْقه ، ونفخ شِدْقَيْه ، وشَمَخ بأنفه أى رفعه كبْراً ، ورفع رأسه كِبْراً، وجاء ثانىَ عِطْفه أى جانبه ، وهو من الرأس إلى الوَرِك .

وهو أزهى من ديك ، وأَزْهَى من غراب .

وترفَّع كِبْرا ، ونأى بجانبه ، وسما بنفسه تيها واستِكْباراً .

وتقول فى خلاف ذلك : هو متواضع النفس، خافض الجناح، متجَافٍ [٢] عن مقاعد الكبر .

١٤ — فى الذكاء والبلادة :

يقال : فلان ذكىّ فَطِن ، فهِيمٌ ، لَوذَعِىٌّ [٣] أَلْمَعِىٌّ [٤] ،

---

(١) أماله وأعرض به كبراً .
(٢) متنح .
(٣) الذكى المتوقد .
(٤) الذكى المتوقد .

حاد الذهن ، متوقد الذهن ، صافى الذهن ، ذكىّ القلب ، حديد الفهم ، سريع الفهم ، سريع الفطنة ، سريع الإدراك ، صادق الحدْس ، يقظ الفؤاد .

وقد فَطِن للمسأَلة ، وتفطَّن لها ، وزَكِنَها وتنبَّه لها .

وإنه لَفَطِنٌ ، ذَهِنٌ ، وإنه لآية الله فى ذكاء الفهم ، وصفاء النفس ، ولطافة الحس ، وإنه ليفهم من الإيماء قبل اللفظ ، ومن النظر قبل الإيماء .

وتقول فى ضده : هو بليد ، غبى ، أبله . غافل ومغفَّل ، ضعيف الإدراك ، بطىء الحس ، سقيم الفهم ، بليد الفكر ، مغلق الذهن ، خامل الذكاء ، مظلم البصيرة .

فيه بلادة ، وفَدامة ، وغباوة ، وبلَهٌ ، وبلاهة ، وغَفْلة .

لا يتنبه للحق ، ولا يكاد يَذْهَن[١] شيئاً ، ولا يكاد يعى قولا ، ولا يستضىء بنور بصيرة .

١٥ — فى الصبر والجزع :

يقال : فلان صابر للأمور ، وصبور ، وقد صبَرَ على المكروه ، وصبَّر نفسه وتصبّر واصطبر[٢] .

---

(١) يعقل ويفهم . (٢) ارجع إلى نجعة الرائد ، وشرعة الوارد ، لليازجى ، ج ١ ص ٩٠ — ٩٢ وص ١٠٤ .

وقد وطّن فلان نفسه على الصبر ، ولاذ بالصبر ، وتجلّدَ على مضض المِحَن .

ويقال : أصابه كذا فَعضّ على ناجذيه[١] أى صبر على ما نابه ، وما زال فى أمره رابط الجأش[٢] ، وإنه لرجل صُلب العود ، لا تَردعه النوائب ، ولا تنال من صبره المِلمَّات[٣] ، ولا يلين جنبه لحادث .

ويقال فى ضده : جَزِع الرجل ، وهلِع ، وهو أشد الجزَع وأفحشه ، وبه جَزَعٌ وهَلَعٌ ، وقد نزلت به نازلة فانحلت عقدة صبره ، ولحقه من الأمر ماعيل به صبره ، وضاق به ذَرعه ، ونفَدَ صبره ، وقد خانه الصبر ، وبات رهين البلابل[٤] ، وبات لا يملك دمعه ، ولا يملك قلبه ، وكاد يقضى عليه من الغم .

١٦ — فى السموّ إلى المعالى والقعود عنها :

يقال : فلان خطير النفس ، بعيد الهمة ، يسمو إلى معالى الأمور ، ويصبو إلى شريف المطالب ، ويَتَسوّر شرفات[٥] العز ، ويُعَدُّ فى وجوه المجد غرراً[٦] ، وقد بنى له مجداً مُؤثَّلا[٧] ، وتسنّم

(١) الضرسان فى أقصى الفم . (٢) المراد به القلب . (٣) الشدائد .
(٤) الهموم والوساوس . (٥) الشرفة : أعلى الشىء .
(٦) الغرة : البياض فى وجه الفرس . (٧) راسخاً .

ذِرْوَة [١] الشرف ، وصعد إلى فروع العلا ، ووثب إلى قمة الشرف ، وبلغ إلى رفعة لا تُسَامى ، وعزة لا تُغالَب ، ورتبة لا يسمو إليها أمل ، وغاية تتراجع عنها سوابق الهمم .

ويقال فى ضد ذلك · فلان قاعد الهمة ، عاجز الرأى ، متخاذل العزم ، ضعيف النفس ، صغير الهمة ، لا تطمع نفسه إلى مأثَرة ، ولا تسمو همته إلى منقبة [٢] .

وقد رضى بالهُونِ صاحباً ، وأخلد إلى الصَّغَار [٣] ، ورضى من جهله بالدون ، وقنِع من زمانه بالنصيب الأخس ، وقعد عما تسمو إليه النفوس العزيزة ، وترقى إليه الهمم الشريفة . همه فى قدحين من لبن ، وقصعة من ثريد [٤] .

١٧ — فى الكَيْسِ والحمق وذكر الجنون والخرف :

يقال : فلان أريب [٥] لبيب ، كَيِّس ، وكَيْس [٦] ، فَطِن ، عاقل ، نبيل [٧] ، حصيف [٨] ، رصين ، وافر اللب ، مستحكم العقل . عنده كَيْس وفطنة ، ونُبْل ودهاء ، وأُرْبَة ، وحَصافة ، ورَصانة .

---

(١) ارتقى أعلى الشرف · (٢) مفخرة .
(٣) اطمأن إلى الذل والامتهان · (٤) صرق يفت فيه الخبز
(٥) عاقل · (٦) عاقل ظريف .
(٧) ذكى . (٨) مستحكم العقل ·

وهو من ذوى العقل ، واللب ، والحِجا والنُّهَى [١] . ومن ذوى الألباب والأحلام ، وأولى الأبصار ، ومن ذوى العقول الثاقبة ، والأحلام الراجحة ، والعقول الوافرة ، والأفهام النَّيِّرة ، والأذهان الصافية .

وهو من أكمل الرجال عقلاً ، ومن أشدّهم رأياً ، ولم أرَ أغزر منه عقلاً ، ولا أنفذ بصيرة ، ولا أصح تمييزاً .

ويقال فى ضد ذلك : هو أحمق أخرق ، رقيع سخيف ، ناقص العقل ، ضعيف التمييز .

فيه حُمقٌ وحماقة ، وخُرق ورَقاعة ، وسُخف وسَخافة .

وإنه لرجل سَرِفُ [٢] العقل ، ورجل مأفون [٣] ، وهو رجل لا حَصَاة [٤] له .

ويقال : رجل أهوج وأرعن ، وهو الأحمق القحل ، معه هوَج ورعْن ، ورُعونة .

ويقال فيما فوق ذلك : قد اختلط الرجل وجنّ ، واختل عقله ، وخُبِل ، واستُلِب عقله ، وبه اختلاط وجنون وخَبل — وقد مَسَّه الجنون ، وبه مَسٌّ من جنون ، ومَسٌّ من خَبالٍ .

وتقول : عَتِهَ الرجل عتَهًا وعتَاهاً ، وعُتِه : إذا نقص عقله من غير جنون ، وهو عَتِهٌ ومعتوه .

---

(١) العقل . (٢) فاسده . (٣) ناقص العقل . (٤) عقل .

ورجل مُوَسْوِسٌ إذا كان يحدث نفسه، وبه وَسْوَاسٌ، وقد اعترته الوساوس، فإذا تناهى جنونه قيل به جنون مُطْبق، ورأيته وقد جُنَّ جنونه، وثار ثائر جنونه.

١٨ — فى الشجاعة والجبن:

يقال فلان شجاع باسل، بئيس، مِقْدام جرىء، فاتك، صارم. وهو ثَبْت الجَنان [١]، رابط الجأش [٢]، صادق البأس، جرىء الصدر.

وهو من ذوى الشجاعة والبسالة، والشدة والبأس، والإقدام والحماسة، والجرأة، والصَّرامة والنجدة.

وهو رجل مِغْوار [٣]، وفتاك، وخَوَّاضُ غمرات [٤]، وهو أشجع من أسامة [٥]، وأجرأ من السيل.

وتقول فى خلاف ذلك: هو جبان، فَشِل، هَيَّاب، رِعْدِيد [٦] — فيه جبن وجبانة، وفَشَل ورِعْشَةٌ.

وورد عليه من الهول ما خلَع قلبه، وهزمَ فؤاده، وزلزلَ أقدامه، وكسر رأسه، وفتَّ فى ساعده.

---

(١) ثابت القلب. (٢) المراد به القلب. (٣) كثير الغارات.
(٤) شدائد. (٥) علم جنس للأسد.
(٦) الذى يرعد عند القتال جبناً.

١٩ — فى الرِّقَّة والقسوة :

يقال : رَقَّ له ، وشَفِق عليه ، وأشفق عليه، ورَئِفَ به ، وعطَف عليه ، وحَدِب عليه ، ولانَ له ، ولَطَف به ، ورفق به .

وقد رقَّ له قلبه ، ولانَ له فؤاده ، ورفرف عليه بجناحه ، وخفض عليه جناح رحمته ، وهو رجل رءوف ، عطوف ، رحيم ، شفيق ، رفيق ، رقيق القلب .

وتقول : هذه حالة يرثى لها ، وإنها لحالة تتوجع لها القلوب رقة ، وتنفطر لها القلوب رحمة ، وترقُّ لها الأكباد الغليظة ، وتلين لها القلوب القاسية ، ويتصدَّع لها فؤاد الجلمود ، ويبكى لها الحجر الأصم .

ويقال : رفرف الرجل على ولده إذا تحنَّى عليه ، وحَنَت المرأة على ولدها ، وحَدِبَت عليهم ، وأشبلَتْ عليهم إذا أقامت عليهم بعد زوجها ولم تتزوّج .

ويقال فى خلاف ذلك : هو قاسى القلب ، غليظ الكبد ، جافى الطبع ، خشن الجانب ، فَظُّ الأخلاق ، فيه قسوة ، وغِلظَة ، وجفاء ، وخشونة ، وفظاظة .

وقد قسا قلبه على فلان ، وثنى عنه عِطْف رحمته .

وتقول : لفلان قلب لا يعرف اللين ، ولا تدخله رحمة ، وإن له قلباً أقسى من الحديد ، وأصلب من الجلمود .

٢٠ — فى سهولة الخُلق وتوعُّره :

يقال : فلان سهل الأخلاق ، سَلِس الطباع ، لَيِّنُ العريكة ، دَمِث [1] الطبع ، لـيِّن الجانب ، رقيق الحاشية ، رضىّ الأخلاق ، سَلِس القياد [2] .

فى خلقه لينٌ وسهولة ، وسلاسة ، ودَمَاثة . وإن أخلاقه أسلس من الماء ، وألْيَن من أعطاف النسيم .

وتقول فى ضده : هو شَرِس شَكس ، سَيِّئ الخلق ، فجّ الطبع ، فظ الأخلاق ، جافى الطبع ، غليظ الطبع ، شديد الشكيمة [3] ، شديد التصلُّب ، لا تلين صفاته ، ولا تنحل عقدته ، كأنه قُدَّ من صخر ، وكأنما طُبع [4] من جلمود .

وهو فى منتهى الشراسة والشكاسة ، والفظاظة والجفاء ، والخشونة والغِلظة .

٢١ — فى الحلم والسَّفه :

يقال : فلان حليم الطبع ، واسع الخُلق ، رَحْب الصدر ،

---

(١) لين سهل .
(٢) سهل الانقياد .
(٣) صعب الخلق .
(٤) خلق .

واسع الأناة ، وقور النفس ، راجح الحلم ، خافض الجناح ، رصين رزين ، وادع [1] ، وقور ، حصيف ، مُتَّئد ، متأنٍّ ، متثبِّت .

وفيه حلم ووقار ، وسكينة ، ورجاحة ، ورزانة ، ورصانة ، ورِفق ، ودَعة أو حَصَافة وتُؤَدة ، أو أناة .

ويقال فى خلاف ذلك : هو سفيه نَزِقٌ خفيف طائش — وإنه لحاد الطبع ، طائش الحلم ، قصير الأناة . وإن فيه لسفهاً ، وسفاهة ، ونزقاً ، وخفة ، وطيشاً وحدة [2] .

٢٢ — فى الغضب وإطفائه :

يقال : قد غاظنى هذا الأمر ، وأسخطنى ، وأغضبنى ، وأثار حَنَقى ، وأضرَم غيظى ، وأوْغَرَ [3] صدرى .

ورأيته مُغْضَباً مُحنَقاً يغلى من الغيظ ، ويفور من الغضب ، ويتوقَّد ويتلظى ، ويتوهَّج ويتأَجَّج .

ويقال : امتلأ الرجل غيظاً ، وهاج هائجُه ، وثار ثائرُه ، وطار طائره ، ووغِر [4] صدره . وقد غضب حتى كاد يخرج من ثيابه ، وكاد يتميز [5] من الغيظ ، وقد انفطرت مرارته من الغيظ .

وتقول فى الاسترْضاء : أَعْتَبْتُ الرجل من عَتْبه أى أزلت

(١) من الدعة وهى السكينة .
(٢) ارجع إلى نجعة الرائد ، جـ ١ ، ص ٩٦ .   (٣) أحمى .
(٤) غلى .   (٥) يتقطع .

عُتْبَه ، وقد سَرَّيت من غضبه ، وسكَّنْتُ غضبه ، وأزَلت امتعاضه ، ولِنْتُ له حتى لان ، ورضِىَ بعد سُخطه ، وسكنت ثورته ، وانكسرت حدة غضبه ، وثاب إليه حلمه ، ورجعت أناته .

٢٣ — فى الطمع والقناعة :

يقال : فلان طمَّاع حريص ، نَهِم جَشِع ، شَرِه ، كثير الأطماع ، واسع المطامع ، شديد الحرص ، وإن فيه لطمعاً وحرصاً ، ونَهماً ونَهْمة ، وجشَعاً وشرَهاً .

وتقول فى ضده : قَنِع فلان بما قسم له ، ورضى به ، واكتفى به ، وإنه لرجل قنوع ، عفيف النفس ، انصرفت نفسه عن الشىء ؛ وإنه لَيعِفُّ عن المطامع الدنيئة ، وفيه قناعة ورضًا ، وعفَّة وعفاف ، وإنه ليقنَع من الدنيا باليسير ، ويجتزئ منها بالكَفَاف .

٢٤ — فى تقدم الرجل على أقرانه :

يقال : سبق فلان أقرانَه فى العلم والفضل ، وبَذَّهم وفاقَهم ، وبَرَّز تبريزاً . وإن له فى هذا المقام القدمَ السابقة ، وهو أسبقهم غيرَ مدافَع ، وأفضلهم غيرَ معارَض .

وفلان سَبَّاق إلى الغايات ، وسابق لا يُجارَى ، ولا يُبارَى ،

ولا تُرَامُ غايته ، ولا يُدْرَك شأْوه [1] ، ولا يُشق غباره ، ولا تلحق آثاره ، قد بان سَبْقُه على خَصْمه ، وحاز قصب السَّبْق .

٢٥ — فى القدوة والاحتذاء :

يقال : حَذَوْتُ حذْوَ فلان ، ونَحَوْتُ نحوَه ، واقتديتُ بسيرته ، ونَهَجْت سبيله ، وسلكتُ طريقتَه ، وقَفَوْتُ أثرَه ، وجريتُ على مِنهاجه ، وتخلّقتُ بأخلاقه ، وتحلَّيْتُ بحليته ، واستننتُ بسنته [2] ، وجريت على أسلوبه .

ويقال : إنه يُضارع فلاناً ويحاكيه ، ويتشبّه به ، ويتمثَّلُ به .

٢٦ — فى العزَّة والذِّلة :

يقال فلان عزيز الجانب ، حصين الناحية ، وإنه لفى مَنَعَة من قومه ، وفى حِمًى لا يُقْرَب ، وفى حِرْزٍ حريز لا يناله طالب ، ولا يطمع فيه طامع . وإن له عزةً قعْساء [3] ، وقد أقام تحت ظلال العز .

ويقال فى خلاف ذلك : فلان ذليل ، عاجز مَهين ، مستضعَف ، مستذَل : مقصوص الجناح ، مهيض [4] الجناح .

وقد ذلّ الرجل وخَشَع ، وخضع واستكان ، وتصاغر ،

---

(١) غايته .
(٢) اقتديت بطريقته .
(٣) ثابتة منيعة .
(٤) مكسور .

وتضاءل ، ولانت شوكته ، ولانت قناته . وقد أذله فلان : وأرغمه ، وعَفَّر وجهه ، وأذلَّ ناصيته [1]

اللغة العربية لغة موسيقية جميلة

اللغة العربية لغة موسيقية الألفاظ ، دقيقة الأوزان ، تمتاز بجمال التعبير ، وسحر الأداء . ويتجلى سر جمالها فى هذا الفن القولى الذى وعته ، وذلك المجهود الأدبى الذى خلفته ، كما تمتاز بما فيها من طرق الإبانة المختلفة التى تملك القلب والحس والسمع . وإن الذين درسوا هذه اللغة ووقفوا على أسرار بلاغتها يدركون جمالها اللغوى البديع . ولا عجب ؛ فقد نزل بها القرآن الكريم ، وهو فى الذروة العليا من الفصاحة وقوة البيان ، وروعة التعبير . والمستشرقون الذين حاولوا دراستها شعروا فى أول الأمر بصعوبتها ، ولكن كلما تعمقوا فى دراستها أحسوا جمالها الطبيعى ، وعرفوا قدرها ، فانكبوا يغوصون وراء لآلئها ، فنالت من نفوسهم الإعجاب والتقدير .

ومن هؤلاء المستشرقين « دى ديو [2] » ، « سكَلْتنز [3] » ،

---

(١) ارجع إلى نجعة الرائد ، جـ ١ ص ٣٩١ .

(٢) De Dieu

(٣) Schultens

و « سكريدَر [١] » ، و« سكِيد [٤] » ، و« هوتِنجر [٥] » من الهولنديين ، ونُولدِكه [٦] و « جزِنْيَس [٧] » من الألمانيين ، ورينان [٨] الفرنسى .

عناصر جمال اللغة العربية :

إن عناصر جمال اللغة العربية كثيرة : منها تراكيبها البليغة التى تفوق بها أى لغة أخرى ، وحروفها المرتبة ترتيباً منطقيا بذت به ترتيب حروف اللغة العبرية ، وقواعدها المنسقة المنطقية . ومن الممكن أن تكون الاستثناءات من قواعدها فى شكل منطقى . ومن السهل أن يرى ذلك العنصر بالرجوع إلى أى موضوع أو قاعدة فيها .

وللثروة اللفظية لهذه اللغة أثر فى جمالها . وإذا قورنت اللغة العربية باللغات السامية أو بغيرها من اللغات الأخرى وجد أنها لم تتأثر بكثير من الألفاظ الدخيلة كما تأثر غيرها ؛ فهى لغة صافية نقية . ولا يمكن أن يعد ذلك ضربا من العجز أو التقصير . فهى غنية بمفرداتها الأصلية الكثيرة . وقد نشأ هذا عن المركز الجغرافى لبلاد العرب . فالعرب منذ جاهليتهم لم يختلطوا اختلاطاً شديداً

---

(١) Schroeder (٤) Scheid (٥) Hottinger (٦) Noldeke
(٧) Gesenius (٨) Renan

بغيرهم من الأمم المجاورة ، كما نشأ ذلك عن الأدب العربى القديم . فالألفاظ التى جمعها اللغويون كانوا يحرصون فى جمعها على أن تكون مما نطق به الشعر القديم . وللقرآن الكريم أثر آخر فى المحافظة عليها ، والضن بها من أن تصير لغة ممسوخة . فالقرآن هو الوثيقة الخالدة فى أيدى العلماء واللغويين . ولا شك أن هذا التنزيل الحكيم وهو الحجة السماوية ، والكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — كان ذا أثر فى أننا نرى أنفسنا اليوم قادرين على قراءة اللغة — التى كان ينشد بها امرؤ القيس شعره — وفهمها ، مع طول العهد بيننا وبينه ، وامتداد الزمن ، وتطاول الحقب . يقول « اَنْزِنْج [1] » :

« فى الوقت الذى صارت فيه اللغات الأخرى من اللغات السامية ميتة ، وتغيرت واختفت فى كثير من أشكالها ومعانيها نجد اللغة العربية قد بقيت حية صافية كاملة ، لم يمسها تغيير أو موت . »

ولا عجب ؛ فقد كانت الأمة العربية تسكن شبه جزيرة تكاد تكون مغلقة ، فهى لذلك لم تختلط بغيرها من الشعوب إلا قليلا ، ولهذا بعدت هذه اللغة كل البعد عن الأسباب التى تؤدى إلى فساد اللغة وانحطاطها . وقد كانت المحافظة على الأدب القديم من دواعى بقاء

(١) Lansing .

هذه اللغة بدوية صافية ، لا تشوبها شائبة . فلولا القرآن الكريم ، وكتب الأدب القديم لصعب على سكان مصر وسورية ومراكش وعمان أن يفهم أحدهم الآخر ، ولتغيرت لغة الكتابة تغيراً عظيما . ولكن وجود أدب اللغة قد حفظ لغة الكتابة وأبقاها واحدة ؛ لتكون صلة بين الناطقين بالضاد ، وكان رادعا دائماً للألفاظ الدخيلة التى تتسرب إلى اللغة الأدبية ، ولغة المحادثة .

وأهم عنصر من عناصر جمال اللغة العربية هو من غير شك أدب لغتها العظيم ، ففى الشعر العربى وحده يستطيع العرب أن يتحدوا بلاغات العالم كله . فالشعر العربى فى العصر الجاهلى وفيما تلاه من عصور — غنىٌّ بفنه الذى ظهر فيه . وهو فن الغناء . أما الفرنجة — ومنهم اليونان والرومان — فقد قالوا الشعر فى فنونه الثلاثة : فى الغناء ، وفى القصص ، وفى التمثيل ، ولكن ما أثر عن العرب فى الشعر الغنائى يفوق بكثرته وجماله كل ما قيل فى أدب أى أمة قديمة أو حديثة .

ومن أسرار جمال اللغة العربية هذا النحو الذى هو قطعة دقيقة من التفكير العربى ، ثم ما وعته هذه اللغة من مجهود أدبى لا يمكن أن تدعيه لغة من اللغات ، ففى بغداد وقرطبة ملأ المؤرخون والعلماء والأدباء مكتبات ضخمة بعلومهم وآدابهم . وقد

ضرب العرب بسهم وافر فى كل ضرب من ضروب المعرفة الإنسانية، وأحاطوا بفلسفات العالم كله، وثقافات اليونان والفرس والهند والصين . وفى المكتبة العربية بقرطبة أكثر من أربعمائة ألف مجلد فى شتى المعارف والفنون . ولولا طغيان البرابرة شرقا وغربا لجاءنا تراث ضخم يدعو إلى العجب ؛ ففى الشرق أطاح التتار بخلافة العباسيين . وأنشئوا جسوراً من المجلدات الحافلة بالعلوم والفنون فى نهر دجلة . وفى الغرب أعمى التعصب بعض الطوائف الأوروبية ، فقضوا على البقية الباقية من عرب الأندلس . وفى أثناء تلك الفتن المبيدة أتلفت وفقدت مئات الألوف من المجلدات الضخمة .

مآثر العرب فى العلم والفلسفة

ومما لا مجال للشك فيه أن للعرب مآثر عظيمة فى العلم والفلسفة لا يمحوها الزمن . ولا يطمس نورها الأبلج التعصب الأعمى ؛ فعلم الجبر وعلم الهيئة مدينان بوجودهما للعرب خاصة . ولقد عُنى العرب بجميع العلوم ، وأضافوا إليها كثيراً من أفكارهم، كما نقلوا فلسفة أفلاطون وأرسطو ، فأوضحوا غامضها ، وكانوا أمناء على المعرفة . ولولا مجهود العرب فى هذه الناحية ما أشرق

عصر الإحياء والنهضة فى أوروبة ، أو لتأخر قرونا .

وما من شك أيضاً أن اللغة التى تحمل كل هـذا لغة مرنة طيعة ، فيها سعة ، وفيها جمال أدبى ، وقدرة فائقة على التعبير . بل لا نكون مغالين إذا قلنا : إن الأدب العربى فى القرون الوسطى كان أدباً عالميا بمعنى الكلمة ، وهذا ما لا تستطيع أن تدعيه أمة لأدبها فى هذا العصر . ولا يغض من جمال اللغة العربية وقدرتها التعبيرية أنها لغة صعبة على كل من يريد السيطرة عليها ، بفهم أسرارها ، والإحاطة بدقائقها ؛ فقد كتب أحد المبشرين بمصر سنة ١٨٦٤ م . يقول :

« إنى أفضل أن أسير على قدمى من الإسكندرية إلى رأس الرجاء الصالح ، وأجوب إفريقية ماشياً على قدمى ، من أن أتعهد مرة واحدة بالسيطرة على اللغة العربية » .

قد يكون هذا القس مبالغا فيما ادعاه ، ولكن الحق الذى لا شائبة فيه أن الصعوبة الأولى فى اللغة العربية على الأجانب هى فى نطقها نطقاً صحيحاً [١] ، وفى وجود حروف عربية لا مقابل لها فى الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية . ويشكو الأجنبى صعوبة النحو

---

(١) وقد يشترك معهم فى صعوبة النطق الصحيح إلى حد ما — المتعلمون من أبنائها فى أول تعلمهم لها ؛ لطغيان اللغة العامية المتأثرة بالألفاظ الدخيلة التى لا حصر لها .

العربى ؛ وذلك لأن قواعد الإنجليزية مثلا سهلة مبسطة . وقد يكون لعلماء النحو العربى مندوحة فيما ذهبوا إليه حين أكثروا قواعده ، وفرعوا مسائله ؛ فقد كان ذلك حرصاً منهم على اللغة ، بعثه الخوف على القرآن الكريم ، كما يشعر الأجنبى حين يتعلم العربية بأنها تختلف فى أسلوبها عن اللغات الأوروبية اختلاف الشرق عن الغرب . والذين يرمون اللغة العربية بأنها صعبة على الناشئين والمتعلمين عامة ربما لا يكونون منصفين فى دعواهم ؛ فكل لغة من اللغات لا تخلو من صعوبة على المبتدئين ، غير أن هذه الصعوبة تختلف باختلاف الأحوال المحيطة بكل لغة .

وأصول الكلمات فى اللغة العربية ثلاثة فاء الكلمة وعينها ولامها ، وهذا أصل الموازين الصرفية فيها . وفى هذه الموازين وكثرتها وتنوعها ما يدل على غنى هذه اللغة ، وثرائها اللفظى . وفى اللغة العربية ألوف من الألفاظ صارت مهجورة ، وهى مبثوثة فى بطون المعاجم ، وأسفار الأدب القديم . ومن أجل ذلك كان الدارسون لنصوص الأدب العربى فى عصوره القديمة فى حاجة شديدة إلى شرح كثير من الألفاظ ، حتى يستطيعوا أن يفهموا النص الأدبى ، ويتذوقوا ما فيه من جمال التعبير .

وقد ذهب المستشرقون إلى أن اللغة العربية أكبر من أن تعرف

معرفة تامة ، يحاط فيها بكل أسرارها ، فهي بحر زاخر لا ترى سواحله ، وأن إجادة أى علم من علومها لا تمكن الطالب من فهم أسرارها ، فربما يستطيع القارئ أن يقرأ القرآن الكريم ، وأن يفهم أسلوبه الحكيم . فإذا ولى وجهه شطر كتب الأدب القديم ، وحاول فهمها ، وجد نفسه فى بحر خضم ، ومحيط عميق ، عاجزاً عن فهم بعض ما يقرأ ، ولعل السر فى ذلك يرجع إلى طول عمر هذه اللغة ، وتغلبها على حوادث الزمن ، بخلاف غيرها من اللغات . انظر إلى ما كتبه (إيُون كِيث فالكُونَر [١]) تلميذ الدكتور (رَايْت [٢]) المستشرق الإنجليزى بعد أن نال درجة الشرف من جامعة كمبردج فى اللغات السامية ، وبعد أن درس اللغة العربية دراسة خاصة فى جامعة « ليبزج » ثم حضر إلى أسيوط ، والتقى بأساتذة هذه اللغة بمصر يقول :

« إنى سائر بنجاح فى اللغة العربية : ولكنها صعبة جدا . لقد عرفت مقداراً كبيراً ، وأستطيع التفاهم مع الخدم ، ولدىّ مدرس يقوم بتعليمى هذه اللغة ساعتين كل يوم . » وبعد أن قضى خمس سنوات فى دراسة مستمرة كتب مرة أخرى وهو فى عدن فى ١٧ من يناير سنة ١٨٦٦م . يقول :

---

(١) Ion Keith Falconer . (٢) Dr. Wright .

« إنى أحسن التكلم باللغة العربية ، ولكنى سأحتاج إلى وقت طويل ، حتى أستطيع أن أخطب بها . »

وفى نصوص هذه اللغة القديمة والحديثة أمثلة رائعة ، ونماذج بارعة ، توقف القارئ على شيء كثير من جمالها فى التعبير ، ودقتها فى الإفصاح عن خلجات النفوس ، وتصوير العواطف الإنسانية .

يقول بعض بنى قيس بن ثعلبة ، وقيل هو بشامة[1] بن حسن النّهْشَلى :

إنا مُحيُّوكِ يا سَــلْمَى فَحَيِّينَا
وإن سقَيْتِ كرامَ الناسِ فاسْقِينا
وإن دعوتِ إلى جُلَّى[2] ومكرُمةٍ
يوما سراةَ[3] كرامِ الناسِ فادْعينا
إن تُبتدر[4] غايةٌ يوما لمكرمةٍ
تلقَ السوابقَ منا والمصلِّيناَ[5]

(١) ليس له ترجمة فى كتب الأنساب ، والظاهر أنه إسلامى .
(٢) الجلى : الأمر العظيم . (٣) السراة : أشراف الناس وعظماؤهم .
(٤) تبتدر : يسرع الناس إليها . (٥) المصلين : الذين يلون السابقين .
والأصل فى هذا التعبير أن الجواد الذى يسبق غيره إلى نهاية حلبة السباق يسمى المجلى ، والذى يليه المصلى .

وليس يَهلِكُ منا سيدٌ أبداً
إلا افتلينا[1] غلاماً سيِّدا فيناَ
إنَّا لنُرْخِصُ يوم الرَّوْع[2] أنفُسَناَ
ولو نُسام[3] بها فى الأمْن أُغْلِيناَ
بيضٌ مفارِقُنا ، سُودٌ مراجِلُناَ
نأسو[4] بأموالنا آثارَ أيْدِيناَ
إنى لَمِنْ مَعْشرٍ أفنَى أوائلَهم
قيلُ الكُماةِ[5] : ألا أيْنَ المحامُونَاَ ؟

وفى هذه الأبيات رقة وجزالة : فالكلمات والجمل مطردة ، والحروف متناسقة ، صافية النغم ، فضلا عما فيها من شعور صادق ، وخيال يقظ ، ومعان إنسانية كريمة ، وصفات يعدها العرب جل مفاخرهم .

ثم انظر إلى قول معن بن أوس ، وما فيه من عظمة الفضل والوقار ، ودقة التصوير ، وجمال العبارة :

---

(١) افتلينا غلاما : فطمناه عن الرضاع. (٢) الروع : الفزع والمراد الحرب .
(٣) نسام بها : تطلب منا . (٤) نأسو : نداوى .
(٥) الكماة المحاربون الشجعان .

لعمرِكَ ما أهويتُ[1] كفِّى لريبةٍ
ولا حملتْنى نحوَ فاحشةٍ رجلِى

ولا قادنِى سمعِى ولا بصرِى لها
ولا دلَّنى رأيِى عليها ولا عقلى

وأعلمُ أنى لم تصِبْنى مصيبةٌ
من الدهر إلا قد أصابت فتًى قَبْلى

ولستُ بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ
من الأمر لا يمشى إلى مِثْلِهِ مثلى

وسترى أن للفراق لوعة يتدفق منها الحنين والذكرى حين يقول ابن الجهم فى الفراق :

يا رحْمتاَ للغريب بالبلد النا
زحِ[2] ، ماذا بنفسه صَنَعا

فارقَ أحْباَبه فما انتفعُوا ،
بالعيشِ من بعدِه ولا انتفعاَ

ويقول فى الفراق والشوق :

اعْلمى يا أحَبَّ شىء إليَّا
أن شوقِى إليكِ قاضٍ[3] عليَّا

---

(١) أهويت كفى : مددتها . (٢) النازح : البعيد . (٣) قاض على : مهلكى .

إن قضى اللهُ لِي رجوعاً إليكُمْ
لا ذكرتُ الفراقَ ما دُمْتُ حَيَّا
إن حَرَّ الفراقِ أنْحَلَ جِسْمِى
وكَوَى القلْبَ مِنِّى الشوقُ كيَّا

وقال البحترى يمدح محمد بن على بن عيسى القُمِّى :

ذاك وادى الأَراكِ فاحبِس قليلا
مُقْصِراً من صبابَةٍ[1] أو مُطيلا
قف مشوقا أو مُسْعِداً أو حزينا
أو معيناً أو عاذراً أو عذولا
إن بين الكَثيبِ فالجزْعِ فالآ
رامِ ربعا لآل هندٍ مُحيلا[2]
لم يكن يومُنا طويلا بنعما
ن[3] ولكن كان البكاء طويلا
قد وجدنا محمد بنَ علىٍّ
غايةَ[4] المجد قائلا وفعُولا

---

(١) الصبابة : الشوق . (٢) الكثيب والجزع والآرام : أسماء أماكن في بلاد العرب . وربعاً محيلا : منزلا مضت عليه أحوال أى سنون طويلة .
(٣) نعمان : اسم مكان . (٤) غاية : نهاية .

ولقيناَ شمـــائلا تنثُرُ المسْ
لكَ سحيقا كما لقينا الشّمُولاَ[١]
ورأينا سيما نَدًى[٢] وسَمَاحٍ
لم نُرد بعـــدها عليه دَليلا
أَشْعَرِىٌّ كَفَاهُ عيسى بن مُوسى
شرفاً بات للسّماكِ رَسيلا[٣]

فألفاظ البحترى كما يقول صاحب المثل السائر : إنها كنساء حسان ، عليهن غلائل مصبغات ، قد تحلَّين بأصناف الحِلَى . ولا شك ؛ فالبحترى فى هذه الأبيات سلس العبارة ، عذب الموسيقا ، له ديباجة الحرير ، واطراد الماء الجارى .

وهل رأيت شعراً أرق من قول الشاعر :

رُبَّ ورقاءَ هَتوفٍ[٤] فى الضحا
ذاتِ شجْوٍ[٥] صدَحَتْ فى فَنَنٍ[٦]
ذكَرت إلْفاً ودهراً سَالفاً[٧]
فبكت حُزْناً فهاجت حَزَنِى

(١) الشمائل : الطباع والأخلاق . والشمول : الخمر ، والمراد أن طباعه تملك الألباب لحسنها .
(٢) سيما ندى : علامة كرم وجود .
(٣) السماك : نجم عظيم الارتفاع . والرسيل هو الرسول ، والمراد أن شرفه بلغ السماك فى العلو والرفعة .
(٤) ورقاء هتوف : حمامة صائحة .
(٥) ذات شجو : حزينة .
(٦) صدحت فى فنن : صاحت على غصن .
(٧) سالفاً : سابقا .

فبكانى رُبما أرّقها

وبُكاها رُبما أرّقنى[1]

ولقدْ تشكو فما أفهمُها

ولقدْ أشكُو فما تَفهَمُنِى

غيرَ أنّى بالجوَى أعرُفها

وهْى أيضاً بالجوى تعرِفُنِى[2]

وما أجمل قولَ أبى الطيب المتنبى فى المدح :

كالبدْرِ من حيثُ التفتَّ وجدْتَه

يُهْدِى إلى عينيك نوراً ثاقباَ[3]

كالبحر يقذِفُ للقريبِ جواهراً

جوداً ويبعثُ للبعيد سحائباَ

كالشمس فى كبد السماءِ وضَوْءُهَا

يَغشَى البلادَ مشارقاً ومغارباَ

ويقول ابن المعتز فى الكرم وقد أجاد وأبدع :

ليس الكريمُ الذى يُعطى عطيَّتَهُ

عن الثناء وإنْ أغلَى به الثَّمنَا

---

(١) أرقها : منع نومها . (٢) الجوى : الحزن وحرقة الوجد .

(٣) ثاقباً : ساطعاً .

بل الكريمُ الذى يعطى عطيَّتَهُ

لغير شىء سوى استحسانِهِ الحسناَ

لا يَسْتَثِيبُ[١] ببذْلِ العرْفِ مَحْمَدَةً

ولا يمُنُّ إذا ما قلَّدَ المِننَا .

ثم تأمل أبا الطيب حين يقول ، فترى فى قوله حكمة رائعة ، وفلسفة عالية :

نحن بَنُو الموتى فما بالُنا

نَعَافُ[٢] ما لا بُدَّ من شُرْبِهِ

تبخَلُ أيْدِينا بأَرْوَاحِناَ

على زمانٍ هُنَّ من كَسْبِهِ

فهذه الأرواحُ من جَوِّه

وهذه الأجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ

لو فكَّرَ العاشِقِ فى منتهى

حُسنِ الذى يَسْبِيهِ[٣] لم يَسْبِهِ

ولرسول الله صلوات الله عليه ، وهو أفصح من نطق ، وأبلغ من تكلم ، قوله : يا خيلَ الله اركبى . ما عالَ[٤] من اقتصَد .

(١) يستثيب : يطلب الجزاء . (٢) نعاف : نكره .
(٣) يسبيه : يملك عقله . (٤) افتقر واحتاج .

من بدَا[1] جفاَ . حدِّث عن البحر ولا حرج . كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خلق له . كرم العهد من الإيمان . هدنة على دَخَن[2] . اتقوا فِراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله . احذروا من لا يُرجى خيره ، ولا يؤمن شره ؛ أصحابى كالنجوم ، بأيِّهم اقتديتم اهتدَيتُم .

وفى هذه الحكم النبوية ترى فنًّا جميلاً من القول ، قلَّت فيه حروف الكلمات ، وكثرت المعانى ، وجلَّ عن الصنعة ، ونزّه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد « وما أنا من المتكلِّفين . »

وفيما تقدم من النصوص يشعر القارئ الذى يتذوَّق الأدب ، ويكون على حظ من معرفة جيده من رديئه بأن أساليب اللغة العربية تمتاز بما فيها من جمال وعذوبة ، وأن الصنعة البيانية فيها قد بلغت الذروة الرفيعة .

انتهى والحمد لله

---

(١) بدا : استوطن البادية . جفا : خشنت طباعه .

(٢) حقد . والمراد أن الكف عن الحرب كان لعلة لا لصفاء النفوس .

فهرس الكتاب

كتب أخرى للمؤلف

الكتاب	م	
(١) روح التربية والتعليم .	٥٠	بمكتبة عيسى البابي الحلبي
(٢) الاتجاهات الحديثة فى التربية .	٥٠	
(٣) التربية والحياة .	٥٠	
(٤) جان جاك روسو وآراؤه فى التربية .	٥٠	
(٥) جان جاك روسو المصلح الاجتماعى .	١٥	
(٦) مشكلاتنا الاجتماعية .	٢٠	

المكتبة الثقافية للشباب

الكتاب	م	
(١) الشخصية .	١٥	بدار المعارف
(٢) أروع القصص لدكنز .	١٥	
(٣) قصص من الحياة .	١٥	
(٤) قصص فى البطولة والوطنية .	١٥	
(٥) التربية الإنجليزية .	٣٠	

المكتبة الحديثة للأطفال



	م	
ظهر منها عشرة أجزاء ، ثمن كل جزء .	٥	بدار المعارف
يظهر فى أول يوليه خمسة أجزاء أخرى .		

